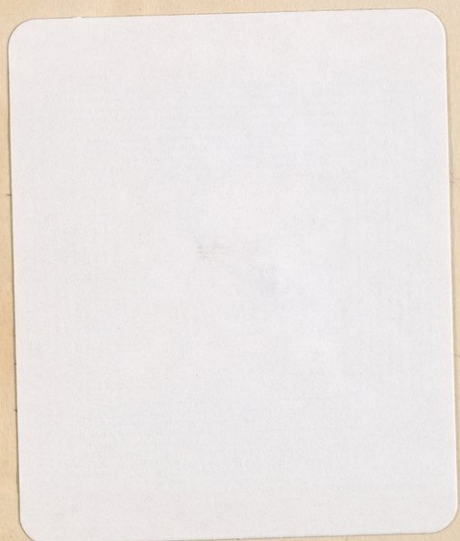


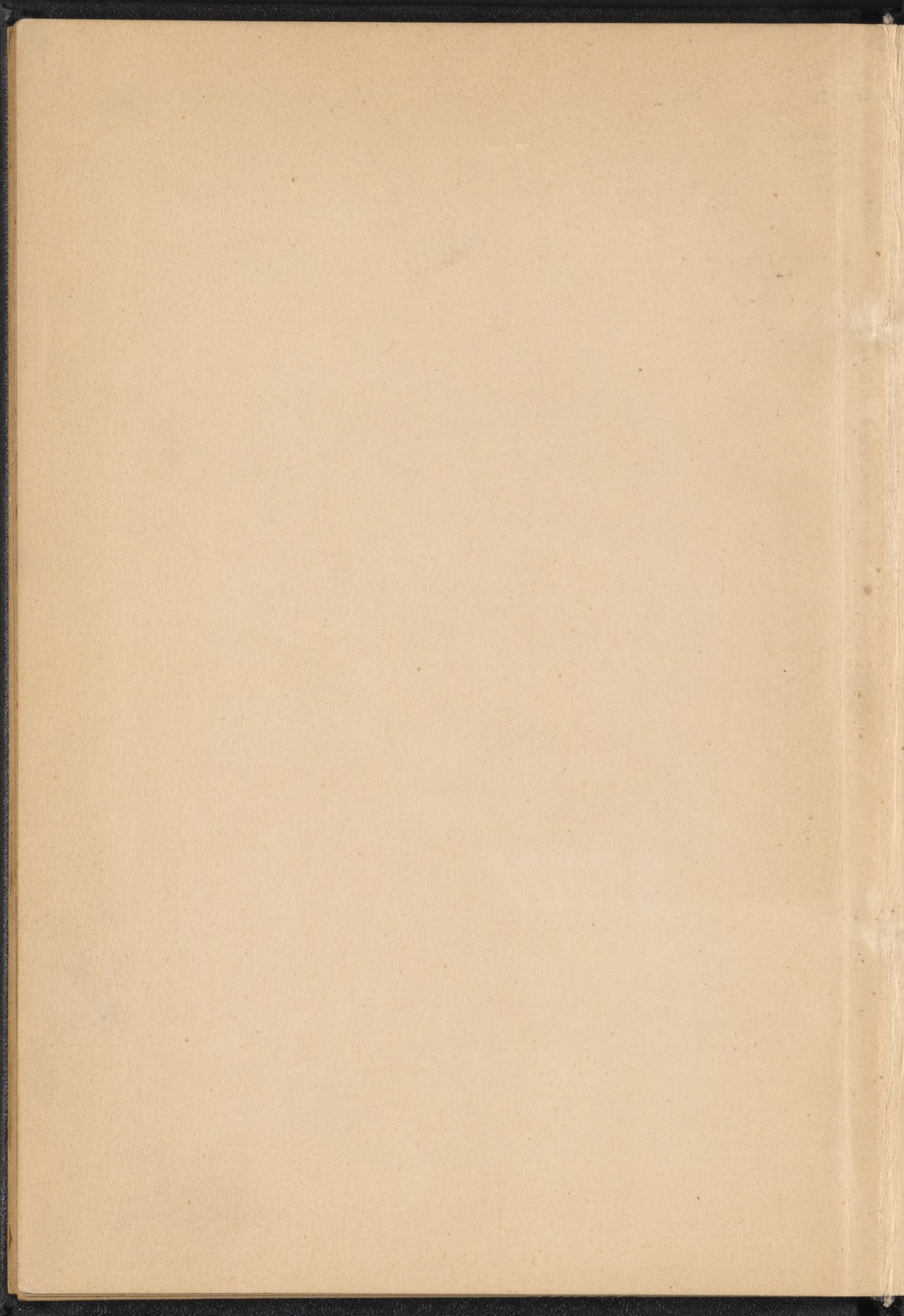
AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01000 2842

04-83735





AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
CAIRO

بين حزين

D
727
E3x
1945

[دراسة تفصيلية لتجنب الأخطاء
في عالم « ما بعد الحرب » .]

١١٠٦٥٧

محمد عبدالفتاح ابراهيم

صاغ (أركان الحرب)

I have been

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٩٤٥



~~940.5314~~
~~M722~~

94.505
ب. 71

27701

إليك ...

أهدى هذه الصفحات .

عبد القناع إبراهيم

هذا الكتاب

ليس في هذا الكتاب ما يمكن أن يقال عنه إنه ليس جديداً في عرضه وتقديمه وتبويبه، ثم في الأسلوب الذي يقص به...، إنه يجمع تاريخ العالم في ستين تصل إلى العشرين... وتعتبر في مجموعها أخرج مدة في تاريخ البشرية مرت بالأمم كلها... وهذا شيء قد لا يكون مجهولاً من كل الناس، ولكن الجديد هنا أن الحديث ليتعمق إلى أدق التفاصيل التي تكشف الستار عن كثير من الأسرار التي كانت علة جهل الناس بسير الحوادث في العالم طوال هذه الفترة...، وكان هذا الجهل هو السبب المباشر لأن يجد الناس في الحرب سبيلاً إلى الفكك من حياة القلق والاضطراب اللذين غلبا على كل شيء.

ان هذا الكتاب دراسة منطقية للأسباب التي أدت إلى الحرب العالمية الثانية ويمكن كذلك أن تكون بدورها مرشداً لدنيا الغد... العالم الذي يجيء بعد هذه الحرب الحالية؟.

الناشر

محمّد

في الأعوام العشرة الأولى التي تلت الصاح الذي جاء وليد الحرب العالمية الأولى اهتز العالم في أكثر من مكان بشورات أغلبها محلية ، ولكنها كانت مع هذا ذات تأثير كبير في المجموعة الدولية ، وعند ما جاء عام ١٩٢٩ بدا للناس أن كل شيء قد استقر ، وأن العصر الذهبي الذي يقدرونه في الحيال كحلم جميل ، قد بات أقرب منا لا مما يظنون .

ولكن هذه الأحلام كلها لم تلبث أن ضاعت ، وألقي بثلاثين مليوناً من الناس إلى البؤس والاضطهاد . . . بدعوى الجنس والدين ، وعاد الناس ثانية إلى صور القرون الوسطى . . . وكرروا مرة أخرى الأساليب القديمة في سياسة إثارة الفرع والإرهاب .

وابتدأت الشعوب تفكر في أمنها وسلامتها . . . كانت أمريكا - التي وضع رئيسها الشروط الأربعة عشر لإيجاد السلم العالمي والتعاون الاجتماعي بين دول العالم كلها - قد نفقت يديها من مسائل أوروبا . . . فلما تعد حدودها الطبيعية على الرين . . . ولا حتى على الساحل الغربي لأوروبا ، بل عند حد المياه الإقليمية بأماها الثلاثة . . . فكانت نتيجة هذا كله ، أن انصرفت الدول إلى عقد المعاهدات ، التي يمكن معها أن تضمن سلامتها ، على أساس إيجاد مجموعات يمكن أن تتعاون معا ضد أي اعتداء يوجه إليها جملة أو فرادي .

وصحبت عام ١٩٢٩ أيضاً نكبة مالية بدأت في الولايات المتحدة ، ثم انتشرت منها إلى العالم كله . . . فكان هذا الاضطراب المالي سبباً من الأسباب الكبرى التي أعادت بناء ألمانيا الثانية في عام ١٩٣٢ .

وكان أن اقترن الاضطراب المالي بالاضطراب السياسي . . . وكنتيجة لعدم

الاستقرار هذا، فشلت كل الجهود التي تنصرف إلى بناء السلم على أساس نزع السلاح، وكرد سريع حاسم، أسرعت الدول إلى التسليح إسراعاً أنهمك كل مواردها، وقد سترت كل منها هذه الحقيقة عن شعبها بكلمات جوفاء « كالعذو على جدارنا الشرقي » أو « المدافع قبل الزبد » .

وعند مجاء أغسطس عام ١٩٣٤ كانت أوروبا كلها كباخرة تمخرع باب المحيط، وفي جوفها قنابل موقوتة، يعرف كل من على ظهر الباخرة أنها ستنفجر دون أن يدركوا شيئاً عن الوقت الذي سيحدث فيه هذا الانفجار .

كانت الطرقات المرصوفة في كل عاصمة وكل مدينة من مدن الحدود المشتركة بين الدول الكبرى والصغرى على السواء تنوء تحت أقدام الجنود ومجلات المدافع وشرائط الدبابات . . . ، قوات تتحرك لكل مكان ولكل اتجاه . . . ، ولا يعلم فرد أين ستكون الشرارة التي تلهب البارود ولا كيف تكون

وكان هذا كله صدى الاضطراب الذي عاش فيه العالم طوال الأعوام التي تلت نهاية الحرب العالمية الأولى .

وكان الناس الذين يعرفون آلام الحرب، والذين اکتبوا بنارها في الحرب الماضية، هم أول من وجد في قيام الحرب الثانية في أوائل سبتمبر عام ١٩٣٩ سيلاً للفكك من هذا الاضطراب الذي يعيشون فيه !!

قصة معاهدة فرساي

كان صدى صوت الرصاصة الأخيرة قد ضاع وبدأت الجنود التي بقيت تعيش في حفر مناطق القتال لأكثر من أربعة أعوام ، تنفض أيديها من أوحال الخنادق ، كانت القرى والمدن التي ظلت طوال الحرب يتبادلها المتقاتلون المرة والأخرى - وفي كل مرة ينصرف عنها من يتركها مرغماً أبشع صورة وأكثر تدميراً مما تسامها من قبل - قد بدأت تدب فيها الحياة . . . ، أناس يعودون إلى دورهم المهذمة وقد احتملوا ذكرياتهم ومتاعبهم ، وجاؤا ليعاودوا الحياة مرة ثانية حيث أقاموا في الماضي البعيد . . . مع أنه لم يزد على خمسة أعوام ، ولكنه بدا بعيداً لما مر فيه من أحداث جسام .

وظن الناس حقاً أنهم قادمون على عهد جديد وإن كان كل منهم قد انصرف بنفسه عن أي شيء آخر . . . ، كان كل شيء غريب وجديد ، عروش قد ضاعت ، ودول قد قامت ، نقد يصلح في مكان . . . ولكنه لايساوى شيئاً في مكان آخر كان بالأمس قطعة منه ، ولكنهم اليوم يقولون إن الدهر قد ضرب بينهما ضرباته فبات كل منهما في دولة .

ولكن مع هذا كان الناس يأملون في الغد . . . على الأقل لأنهم ظنوا أن الناس الذين سمعوا بنهبهم إلى فرساي أناس من طراز آخر غير أولئك الذين كانوا يذكرون أسماءهم عام ١٩١٤ .

كان الوقت شتاء . . . وكان الشهر يناير من عام ١٩١٩ .

وفرساي وباريس قد ضاقتا بالوفود التي جاءت لمؤتمر الصلح . . . المؤتمر السحري الذي سيجتز أصول الشر من النفوس . . . المؤتمر الذي سيقدر مستقبل الشعوب بروح العدل . . .

واستعرض أولئك الذين يفهمون شيئاً من فلسفة الأسماء ، ما أعلن عن مندوبي

الدول في المؤتمر . . . ، وظن أولئك الذين يأملون في العسكريين أن خريطة أوروبا الجديدة ستنظم الحدود المشتركة بين الدول على قاعدة الوقوف عند الموانع الطبيعية كالأنهار والجبال . . . ، وسيكون هذا - على الأقل - للاطمئنان لا للدفاع فلن تكون هناك حرب بعد هذه التي كانت لإنهاء الحرب . . .

وتيقن أولئك الذين يقدر آراء الاقتصاديين الذين جاءوا في ركاب السادة السياسيين إلى المؤتمر أن تقسيم أوروبا - وهو أمر لا سبيل إلى إغفاله - سيقوم على أساس تقسيم المواد الخام ، وموارد الإنتاج الزراعي بين الدول في مجموعات متعاونة ، كي يمكن لكل دولة أن تعمل ، ولكل شعب أن ينتج وأن يعيش مما تنبت أرضه ومصانعه . . .

ولكن شيئاً من هذا لم يكن أكثر من آمال . . . فقد وصل السياسيون إلى المؤتمر . . . ولم يكذبوا عنهم أودية السفر حتى تفاهموا . . . وهمس سياسيو الدول المنتصرة لبعضهم البعض « ويل للغلوب » .

ولهذا كان حديث التفاهم لإيجاد عالم جديد غير صحيح ، فإن رؤساء وفود أربع دول فقط - هي الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا - هم الذين كانوا يقررون كل شيء ثم يكتبون النصوص التي تعرض على المؤتمرين للنظر ، وعلى المغلوبين للعلم ، لا للجدل ولا للنقاش . . . ، فكان مؤتمر الأربعة الكبار هو رأس فرساي المفكرة واليد التي تحمل مقصا يمزق حيث سار ، وكأن هذا التمزيق في قماش لا يحس . . . وليس في دول وشعوب تن وتوقع . . .

ولعل أولئك « الكبار » قد جاءوا إلى فرساي يحملون خريطة لأوروبا ثم للعالم ، دعمت أسسها بسخائم الماضي وأحقاده . . . لأن هؤلاء كان أول مافكروا فيه :

عمل خريطة سياسية جديدة لأوروبا .

ثم . . .

إعادة تقسيم الأراضي في إفريقيا وآسيا والمحيط الهادى .

ولكن هذا التمزيق لإيجاد خريطة جديدة لأوروبا تكثر فيها الألوان ويختلف مسار الحدود المشتركة ويتباين بين الاحدوداب والتقعير لم يكن هو كل الذي يطلبه

العالم لاستقرار الأمر ... ، فخلق دول جديدة وتقويه دول صغرى على أساس أقطاعها الأرض وإمدادها بالمواد الخام لا يمكن من إقناع كل الناس . . . وإذن فلتكن هناك عصبة أم ... ولتنظم العلاقات الدولية مستقبلا عن طريق عصبة الأمم هذه ...

وكانت أبرز المشاكل التي نجمت عن فرساي هي في الواقع مشكلة التمزيق ... كانت النمسا والمجر أول امبراطورية جرت الأقاليم الحمراء كالمباضع في جسدها المتفرطح ... ، والواقع أن النمسا والمجر وإن كانت قد بقيت متماسكة لأربعة قرون لم تكن مكونة من شعب واحد ، بل كانت مكونة من عدة شعوب إلى جانب النمسيين الآريين ، كان فيها ألمان ومجريون وتشيكوسلوفاك وبولنديون ورومان كروات وسلاف وإيطاليون ، وقد بقيت هذه الشعوب متماسكة طوال هذه القرون بحكمة سياسيي فينا وسعة صدورهم .. ، ولسنا ننكر أنهم كانوا يلاقون في هذا متاعب جغرافية وسياسية واقتصادية كثيرة ، فالإنتاج في مساكن هذه الشعوب يختلف بين القلة والكثرة ، ومناطق التعدين متفاوتة الغلات وتبعاً لهذا كانت الثروات غير منسقة ولا متناسبة ، وإلى أبعد من هذا فإن هذه الشعوب حتى وإن تراوحت لم تتمازج ، فكانت نتيجة هذا أن كلامها كان يرى وراء الدولة الحاكمة وطناً قائماً أو شبه قائم يفهم أهله ولغته وعاداته ولكنه منقطع عنه ...

ولم يغب هذا عن سياسيي فرساي ... ولكن كان لزاماً أن يتابعوا روح شروط ويلسون في تقرير مصير الأقليات ، فكان أن مزقت النمسا والمجر .. واقطعت بعض الأراضي الألمانية والروسية والتركية ... ، وأخذ من البعض .. وأعطى البعض للوصول إلى سلم موطد عن طريق مصير الأقليات ، فكان التخطيط الذي أجرى في فرساي أول مساهمة في نعش السلم المنشود ، وأول رصاصة تكفي لاشعال نيران حرب قادمة جديدة ، وتشيكوسلوفاكيا الجمهورية المستحدثة في ١٥ نوفمبر عام ١٩١٨ والمعترف باستقلالها في ١٠ سبتمبر عام ١٩١٩ أظهر مثال لهذا ، فقد كونت من مملكة بوهيميا القديمة وسهل المورافيا مع جزء من غاليسيا يمتد حتى جنوب الكربات في مساحة بلغت ٦٠٠٠٠ ميل مربع من الأرض و ١٤ مليوناً من السكان ، ولكن هاته الأربعة عشر مليوناً كانت من التشك والسوفاك والألمان (السوديت) والبولنديين والمجريين ، وإذن يكون حق تقرير المصير لم ينفذ تماماً بالنسبة للشعوب الثلاثة الأخيرة

التي انتقلت مرة أخرى من امبراطورية كانت الأقليات فيها تكاد تكون الغالبة إلى جمهورية تشعر الأقليات فيها بضرورة انضمامها إلى شعوبها الأصلية .

على أن مسألة العنصرية قد أثرت وسياسيو فرساي لا زالوا على منضدة الصلح أو بالكاد تركوها عندما قصد وفد من البولنديين الذين ضموا إلى تشيكوسلوفاكيا قبلتهم في وارسو ، فتحدث إليهم بلسو ديسكى قائلا : « انتظروا وثقوا أننا لن ننساكم » .

ولعله لم ينسأهم ... وكان هناك غيره أيضا ممن لا ينسون ...

على أن فرساي في الواقع كأي معجزة من صنع البشر إن صلحت من ناحية لم تكن تصلح من الأخرى ، فإن كيان تشيكوسلوفاكيا الاقتصادي كان يتطلب هذا ... ففي جزء غاليسيا الفحم ، وفي بلدة (جوتشيميل) على مسافة عشرة أميال من كارلسباد مناجم الراديوم ، بل هي أغنى بقاع العالم بهذا العنصر ، وفي هذه المناجم اكتشفت مدام كوري العاملة الفرنسية هذا العنصر الذي انتفع به الطب والصناعة أيما انتفاع .

ثم ان تشيكوسلوفاكيا دولة لا يحدها البحر فلا ميناء لها ، ولكن مدها للجنوب في أرض المجر يجعلها تهيمن على جزء كبير من فروع الدانوب كما تهيمن على المياه العليا لأنهار الألب والأودر والفستيولا هذه الأنهار التي يجري بعضها في بولندا وبعضها في المانيا . ثم إن كيانها كدولة فاصلة أو على مايسمى بالإنجليزية Buffer State يتطلب أن تتوفر فيها الأراضي المليئة بالهيئات الأرضية لاقامة التحصينات عند الحدود الأكثر تعرضا للاغارة .. وهي في هذه الحال بالنسبة لألمانيا الدولة ذات التاريخ القديم للاعتداء - والتي قد يؤدي أي تطور في الموقف الدولي إلى استعادتها قوتها القديمة التي تمكنها أيضا من السيطرة على المعابر والطرق - تعتبر وكأنها في مهب الريح .

وكان هذا الوضع الجغرافي بصورته التي ظلت بها تشيكوسلوفاكيا بين عام ١٩١٨ و ١٩٣٨ قد وضعها بين خمسة دول ، منها أربعة تكرهها أشد كراهية وأهمها المانيا .

على أن فرساي نفسها قد نظمت إلى جانب هذا التمزيق عدة مسائل أخرى

مالية واقتصادية بالنسبة لألمانيا ، اعتبرت كوسيلة للتعويض عن إضرار الحرب ... وهذا التعويض عن الضرر مبدأ قانوني ، ولكن الفكرة أنه يجب لكي تطلب تعويضا عن ضرر أن يكون هذا في استطاعة الشخص الذي سيقوم بالدفع أو إلى الدرجة التي يستطيعها ، ومن أجل هذا كانت فكرة ويلسون عندما عاد إلى باريس في الرابع عشر من مارس لا كمال النصوص الاقتصادية والمالية لمعاهدة فرساي أن المبلغ الذي يطلب من ألمانيا يجب أن يكون في استطاعتها دفعه في ثلاثين سنة ، وأن يكون كذلك مبلغا محددًا ينص في شروط الاتفاقية على مقداره ، ولكن لويد جورج عارض التحديد أيًا كان... فلم يقبل تحديداً لا في المبلغ ولا في الزمن ، وقد انتهى النقاش بأن نزل ويلسون عن إصراره يوم أن وجد ان ما يهدد به من إيقاف المعاونات المالية لفرنسا وبريطانيا سلاح قد صدأ ولا قيمة له ، وبالرغم من فداحة مبلغ التعويضات فإن ألمانيا قد لبثت تدفع دون أن تتكبد شيئاً يرهقها إلا القليل لأنها كانت تدفع مما تقترضه من أغنياء أمريكا الذين تراكم لديهم المال لا يجدون وسيلة لاستغلاله إلا أن يقرضوه للناس . ثم جاء وقت توقفت فيه ألمانيا على الدفع فلم يقل لها لماذا هذا التوقف لأن عصبة الأمم كانت قد ولدت ضعيفة لا تقوى على شيء .

ولا يجوز أن يغيب عنا بأن وودرو ويلسون قد جاء إلى باريس في أعقاب الحرب وهو يفكر في شيء واحد هو إقرار السلم في العالم لجيل قادم على الأقل بإيجاد عصبة أمم يتآخى فيها أعداء الأمس بفكرة واحدة هي أنه من الممكن أن يوجد في العالم مكان لكل فرد وعمل لكل فرد وغذاء لكل فرد . . . وكانت الأحوال في العالم صالحة لإيجاد هذا ، ثم إن أولئك الذين كانوا يتولون الأمر من وودرو ويلسون إلى لويد جورج إلى كليمانصو كان يبدو لكل فرد أنه تتوفر فيهم القوة والرغبة لإيجاد عالم جديد لأناس يحبون السلم ويريدون الحياة في أمن ودعة وعدالة ، وكان كل تفكير ويلسون منصرفاً إلى أن الشيء الذي يحقق هذا هو عصبة الأمم ، ولا شيء غيرها ، فان العصبة تستطيع أن تعي كل القوى ضد المعتدي أيًا كان . . .

وكان كليمانصو يريد أيضاً عصبة أمم قوية لها جيش ، وبذلك يمكن ضمان سلامة فرنسا ، وكان لويد جورج بدوره يريد عصبة أمم ولكن... عصبة أمم لا جيش لها ،

كان يريد أن يكون طليق اليد . . . فلا يتقيد حتى بوعد الدفاع عن الأمم التي يعتدى عليها ما دام هذا لا يؤثر في توازن القوى في أوروبا (لاحظ أن هذا حدث فعلا في حالي منشوريا والحبشة) .

وبذلك فإن كل ما كان يعني لويد جورج هو الاحتفاظ بتوازن القوى مع العمل لاكتساب أشياء جديدة لبريطانيا — وكان كل ما يهيم كليمانصو هو سلامة فرنسا ، أما ويلسون فقد بق وحده يحلم بإمكان إنشاء سلم مستمر في عالم بق يضطرب لقرن كامل من الزمان منذ أن انتهى عهد نابليون بونابرت أحد الذين حاولوا السيطرة على العالم . . .

وكانت نتيجة هذا فشل كليمانصو في الحصول على وقاية لفرنسا ، وفشل ويلسون في إيجاد السلم الدائم ، وكسب لويد جورج لبريطانيا بعض التوازن في أوروبا ثم قليلا من الأسلاب والغنائم في العالم كله . . . ولكن الحقيقة أنه بدوره قد فشل لأن بريطانيا بعد عشرين عاما فقط من إمضاء معاهدة فرساي ، واجهت حرباً ضروساً وقفت في أول مراحلها عند ساحل المانش ، تواجه طاغية آخر يفكر في عبور البحر لغزو بريطانيا كما فعل نابليون مرة من قبل .

وإذا كان هتلر قد أخفق فيما أخفق فيه نابليون من قبل فليس لهذا إلا لسبب واحد وهو أنه انصرف كما انصرف نابليون في اللحظة الحاسمة إلى شيء تافه لا قيمة له . وبهذا يمكن القول أنه لم يكن هناك من يقال عنه إنه انتصر في فرساي ، وهذا عدا أن الجنس البشري بأ كمله قد خسر عندما سنحت الفرصة للفوز بالسلم .

على أن الذي يعيننا إجمالاً من ناحية الحديث عن ختام معركة فرساي — المعركة التي مزقت العالم أكثر مما مزقته الحرب العالمية الأولى — هو أن الناس نفصوا أيديهم من فرساي وجمعوا أطراف ثيابهم في انتظار ما يجيء به الغد .

وفي السابع من مايو عام ١٩١٩ سلمت نسخة من الاتفاقية لاتحمل إمضاءات أساطين السياسة والحرب للمندوبين الألمان ، وفي هذه الاتفاقية الضافية النصوص والملاحق ، فقدت ألمانيا في عرف الناس كل شيء ولكنها في الواقع كسبت

الأسس التي بنيت عليها المانيا الجديدة بعد أربعة عشر عاما فقط وليس هذا بالأمد الذي يقاس به تاريخ الشعوب .

ومن الناحية التصويرية يمكن أن يقال بأن المانيا قد فقدت :

الانزاس واللورين . أعطيتا لفرنسا .

إقليم السار . } تحتله فرنسا لخمسة عشر عاما تنتهى بإجراء
تصويت عام لاختيار الجانب الذي تنضم إليه .

مناجم الفحم في إقليم السار . تعطى لفرنسا .

شليزويج العليا . تعطى للدانمارك .

الجزء الجنوبي من سيليزيا العليا .

و جزء كبير من إقليم بوزن .

وبرومبرج مع ممر إلى البحر

يفصل بروسيا الشرقية عن المانيا .

مدينة دانزيج .

تعتبر مدينة حرة تديرها عصبة الأمم .

كل مستعمرات ألمانيا في أفريقيا } — وزعت بين بريطانيا وفرنسا واليابان .
وآسيا .

ثم أن كل السفن الألمانية التي تزيد حمولتها على ١٦٠٠ طن . . . ونصف السفن التي تكون حمولتها بين ١٠٠٠ و ١٦٠٠ طن توزع بين دول الحلفاء بدلا من السفن التي أغرقها ألمانيا للحلفاء في الحرب ، وقد أعطى أغلب هذه السفن لبريطانيا .

يخضع الجيش الألماني إلى مائة ألف مقاتل ويحتفظ فقط بالأسلحة والذخائر التي تتناسب مع هذا العدد من المقاتلين — باقى الأسلحة والذخائر تنسف أو تكسر .

نزع التسليح من كل المنطقة على طول الرين .

تسليم الأسطول الألماني فيما عدا ست بوارج صغيرة وست طرادات خفيفة واثنتي عشر مدمرة واثني عشر قاربا للطوربيد .

تدمر كل طائرات الجيش والأسطول وباقي المنشآت الجوية مع عدم إيجاد أية تشكيلات جوية جديدة في المستقبل لا للجيش ولا للأسطول .

فلما كان الثامن والعشرين من يونيو وقع أساطين السياسة والحرب في العالم كله معاهدة فرساي ، وعقب ويلسون على هذا بقوله (يوجد هنا أساس صالح لإرضاء كل الناس ولايجاد ضمان عالمي وأمل مصحوب بالثقة) ومع هذا فإن المعاهدة عند معارضة على مجلس الشيوخ الأمريكي صوت ضدها ٥٥ شيخاً بناء على طلب ويلسون نفسه ، ولم تحصل الاتفاقية إلا على ٣٩ صوتاً ، وبذلك وضع ويلسون اتفاقية لإقرار السلم في العالم فلم توفق هذه الاتفاقية حتى إلى رضا الأمريكيين عنها

ومن هذه القصة الحزينة التي أجمت ، فشلت أكبر فرصة عرضت للناس لإقرار السلم ويمكن أن نخرج منها بالتعليق الآتي : —

١ — في نهاية كل حرب كبرى تجيء فترة يكون العالم كله رهين إشارة قادة وزعماء الأمم المنتصرة . . . ، وفي هذه الفترة تعرض الفرصة متعجلة الخطوات ، فإذا كانت اتفاقية الصلح منطقية النصوص يقبلها العقل ، أمكن أن يهنأ العالم بفترة سلام هادىء وإلا لا يلبث العالم أن يعود إلى الحرب .

٢ — الشروط المعقولة للصلح من النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية يجب التفكير فيها قبل تمام الحصول على النصر . . . ، وفي أثناء الحرب يكون الناس الذين يلوح النصر لهم أقرب إلى المنطق والحكمة مما يكونون بعد ادراك النصر وتحقيقه ، فإذا انتهى وضع هذه الشروط يجب الاصرار عليها والدفاع عنها . . وقد أخفق ويلسون في هذا . .

٣ — تنظيم السلم أعقد وأكثر اشكالا من تنظيم الحرب .

٤ — لا يمكن إقرار السلم في العالم ، إلا على أساس عدم إغفال حقوق ومصالح ومطالب أمة ما ، سواء أكانت هذه الأمة منتصرة أو مهزومة ، ولهذا فمن الضروري دائماً العمل على إيجاد تحالف بين كل الدول أساسه الأصلي هو تفاهمها على أن تتعاون مع بعضها البعض فرادى وجماعات

وهذه كلها تجارب جاءت بها كل الحروب الكبرى ، ولا يجب أن تغفلها في الغد عند ما يحين الوقت لإيجاد عالم جديد بعد هذه الحرب الحالية .

توراه البرطانه

الليلة ليلة الحادى عشر من اكتوبر عام ١٩١٩ ، وهى ليلة لا يذكرها التاريخ إلا لما . . . فلم تقترن بشىء يعتبر حادثا جسيما فى تاريخ العالم ، ولكنها مع هذا كانت شيئا ما فى تاريخ أوروبا المضطربة التى كانت لا تزال ملوثة اليدىن بدماء الحرب العالمية الأولى .

فى تلك الليلة كان الجيش الأبيض الذى يقوده الجنرال بودينيتش يجتاز حدود اسيتونيا للشرق . . . لاتفصله عن بتروغراد الثمرة التى يقصد التهامها عدا مائة ميل ، مائة ميل لا تدافع عنها إلا بقايا مبعثرة هى الهيكل الباقى من جيش السوفيت السابع ، وهو جيش يحدثنا التاريخ المسطور بأنه كان قليل العدد مثلوم القوى المعنوية ، وفى تلك الليلة أيضا كان الأسطول البريطانى يمحى عباب بحر البلطيق رافعا علم القوة والنصر الذى كسبه فى صراعه ضد الألمان .

وكان بودينيتش متفائلا . . . ومن حقه أن يتفائل وأن تتملكه روح الثقة . على أن الليلة أيضا كانت شيئا آخر فى التاريخ ، فقد كانت هى « ساعة الصفر » للشورة الجديدة التى قصد بها إقرار الأمر فى روسيا وليدة القياصرة ، كان جيش الجنرال كولتشاك فى طريقه إلى موسكو . . . وكان جيش الجنرال دينكين يحتل منطقة واسعة فى أراضى روسيا تستند إليها مواصلاته للغرب . . . وظنت أوروبا كلها من المقال الافتتاحى الذى نشرته التيمس عادة الثانى عشر من اكتوبر أن حكومة البلاشفة قد وصلت إلى مرحلتها الحاسمة الأخيرة .

واقترب بودينيتش من بتروغراد . . . كان قد بلغ بجيشه إلى مرمى المدافع من ضواحيها . وانتشر الذعر فى عاصمة القياصرة لاقترب البيض ، وبات بودينيتش نفسه كريشة فى مهب الريح للروح التى تتملكه بفكرة النصر الذى يقترب من يده .

ولكن . . . لأول مرة منذ ان اجتاز حدود اسيتونيا جاءت تقارير الاستكشاف
بأبناء جديدة غربية .

كان أبناء بتروغراد الحمر قد قاموا كرجل واحد للكفاح أو الموت ، واندفع
الرجال والنساء من أبواب المدينة وقد احتملوا أدوات الحفر ، وراح أهل بتروغراد
يشقون الحفر ويقيمون دعامات الأسلاك الشائكة ، لا يعنيه من الأمر إلا مناعة
التحصين وسرعة الإعداد ، وجاء بودينيتش يقرب في حذر ويضغط بأقصى قوة يمكنه
منها العدد والتسليح . ولكن النصر الذي حسبه في يده كان يبتعد عنه ، واستطاع
أهل بتروغراد أن يوقفوا المدافع والذبابات التي دك بها الحلفاء خطوط الألمان
في الميدان الغربي ، كان الخط الدفاعي حول بتروغراد يتلوى جيئة وزهاها على طوال
ثلاثة أيام استمر القتال فيها غاية في العنف . وأضاف الروس إلى سجل خسائرهم
عشرين ألفا آخر عند بتروغراد في هذه الأيام الثلاثة ، ولكن بودينيتش بدأ يتقهقر
مرتدا إلى الغرب .

ثم جاء ثلج الشتاء . . . وبقيت بتروغراد في يد الحمر . . .

وفي الأسابيع التي تلت هذا . . . لم تستطع حراب البيض أن تفعل شيئا ، كان
أربعماية ألف مواطن يقال أنهم جنود نظمهم لينين قد استطاعوا أن يقفوا في ستة
عشر ميدانا للقتال ، يحاربون المعركة إثر الأخرى ، بفكرة واحدة يمثلها العلم الأحمر
الذي يرفعونه ، والذي يعدهم بالسلم والخبز والأرض .

وذهب بودينيتش مع الرياح ، وأعدم كولتشاك ، وأطلق دينكين ساقيه للهواء
مسرعا إلى لندن في صحبة بعض قادة روسيا البيضاء ليقدّموا التقارير المطولة
عن أسباب فشلهم .

ثم جاء ربيع عام ١٩٢٠ بجديد . . . فقد ظهرت على مسرح أوروبا المضطربة
شخصية جوزيف بلسوديسكي وجيشه الوطني .

كانت عينا بلسوديسكي تحديقان في حقول قمح أوكرانيا ، وكان ينتظر الفرصة التي
يمكن أن تسنح له للعمل ، ووجد جيوش روسيا الحمراء مشغولة في الجنوب فلم يتردد
لحظة واحدة . . . فهو جندي والحرب هي الصورة الوحيدة المحببة إلى نفس
الجندي المحارب . . .

وهكذا لم يبدأ أبريل حتى تحرك جيش بلسوديسكى ، ودون أن يقاتل في معركة واحدة ، قطع الجيش ثلاثمائة ميل ، واحتل كيف عاصمة أوكرانيا . . .
ولكن هذا النصر كان محادعا . . . ففي يونيو تحرك الجيش الأحمر شمالا لمواجهة هذا الخطر الجديد ، ومزقت حراب فرسان بوديني خطوط البولنديين ، ثم جاء الجنرال توكاشيفسكى الذى يقود قوات الروس الأساسية وهو لا يتجاوز السابعة والعشرين من عمره ، فقلب التفهقر إلى هزيمة منكرة . . . واندفع البولنديون نحو وارسو يحملون معهم كل آثار الهزيمة . . .

وكانت الأنباء تتقدم بخطوات واسعة ، وكانت وارسو يخيم عليها الجوع ويسدل عليها « التيفوس » سحفا سوداء اللون ، وقبل أن يتخطى الروس حدود بولندا ، كان رئيس وزرائها ووزير خارجيتها قد أسرعا إلى باريس ولندن يثيران الفزع فى نصف قارة أوروبا ، ولم يكن هناك من يذكر حقول القمح ، فلا معنى لهذا الآن ، لأن وارسو نفسها فى خطر . . . ولأن الروس المحر يقرعون أبواب أوروبا ، ويقرعونها بقوة . . .

كانت باريس تريد أن تعمل شيئا ولكنها لم تكن لتستطيعه ، فان باريس لا تفكر إلا فى الاتجاه الذى تشير إليه بتروغراد ، وبالرغم من أن البولشفيين لم يكونوا ممثلين فى فرنسا إلا أنه كان لهم صوت فى باريس . . . وتلفتت فرنسا لبريطانيا لترقب ماذا يمكن أن تفعل لمواجهة المشكلة الجديدة ، ولكن لويد جورج كان متردداً ، وقد قابل وزير خارجية بولندا لأول وهلة بوجه متجهم وهو يقول : « إن جيشك يقف الآن عند حدود يبدو أنها ليست بولندية !! » .

وسرعان ما تبذلت هذه اللهجة ، فبعد أسبوعين اثنين ، وبينما كان لويد جورج يدرس مع كراسين مندوب السوفيت اتفاقية تجارية وصل ونستون تشرشل وسلم لويد جورج مذكرة جاء فيها « لقد أخبرتهم — يقصد الروس — بأنهم إذا لم يوقفوا تقدمهم فى بولندا ، فسأرسل الأسطول الانجليزى إلى البلطيق . . . » .

وبدا فى لحظة واحدة أن بريطانيا قادمة على حرب أخرى ، ولكن فى اللحظات الحرجة تستيقظ الديمقراطية الانجليزية من غفوتها دائماً لإقرار السلم . . .

على أن بريطانيا نفسها كانت مقبلة على فترة اعتصاب عام واضطرابات صناعية ،

كان العمال والرأسماليون قد أمسكوا بتلابيب بعضهم البعض في عراقك عنيف، من أجل الثمرة الحلوة التي يطمع كل منهم أن تكون من نصيبه وحده... ولكن - في مسرح آخر - على الشاطئ الشرقي لنهر الفستيولا كانت الجيوش السيوفيتية ترتد تاركة أما كتبها التي وقفت فيها على مدى ستة أميال من وارسو ، واستطاع بلسوديسكي أن يحصل على نصر ما... وفي ساعة النصر هذه بعث بجيش استرد مدينة فيلنا، المدينة التي أعطاها معاهدة فرساي للبتوانيا .

ولكن لينين كان هو الآخر قد نال نصيبا من النصر ، وتعلق بأهداب السلم تعلق الصانع البخيل بماساته... ولم تغير من الأمر شيئا هذه الرصاصة التي أطلقها عليه شاب فوضوى فاستقرت في عنقه... لأنه كان في حاجة إلى ثلاث سنوات أخرى فقط ليرقب لروسيا التي يطمع في إيجادها... واستطاع بلسوديسكي أن يخلق بولندا جديدة ، وليدة الأولى ، التي غيرت يوما ما وجه ألمانيا...

وكان في ألمانيا نفسها أشياء وأشياء في الأيام التي تلت الحرب العالمية الأولى مباشرة ، عند ما اجتاز الامبراطور ولهم حدود هولندا وقد أحاط ذراعه بعصاة حمراء... وقصد الجنرال لودندورف السويد محتفيا وراء منظار أزرق اللون... أطلق من سجن براسلو سراح يهودية حذاء... كانت هي روزا لوكسمبورج... أقرب امرأة إلى قلوب وعقول زعماء الاشتراكية الدولية ، وكانوا يعدونها المخلوق الوحيد الذي يمكن أن يوازي لينين في قوة الجدل المنطقي... وظنت - في غمرة الإيمان الذي يملؤها بمستقبل ألمانيا - إنه من الممكن أن يكون لها ثورة مسلحة كثيرة أكتوبر للروس .

وكان زميلها كارل لينبخت قد أعلن من شرفة القصر الامبراطوري في برلين إنشاء الجمهورية الاشتراكية في ألمانيا... ولكن لاروزا ولا كارل كان الحاكم الحقيقي لألمانيا... بل كان فريتزايرت «السروجي» القديم في هيدلبرج، وجوستاف نوسكي «النجار» زعيما الاشتراكيين الديمقراطيين ووريثي عرش هوهنز لرن ، و فقط عندما اشتدت العاصفة الثورية استشارا الجنرال فون شليخر في الأمر...

ولم يكد ينتصف يناير عام ١٩١٩ حتى كان جيش الألمان الأحمر ، في قرابة المائتي ألف جندي يقاتل في طرقات برلين... ومرت الأيام متشاقة، البرد قارص، والضباب

كثيف يغطي سماء العاصمة الألمانية... ومع هذا كانت كل الطرقات تسدها الأحجار الكبيرة ووراء هذه المعازل الجوية وأزائها استمر القتال دون هوادة ، واستطاع الألمان الحمر أن يحتلوا محطات السكك الحديدية ومكتب إحدى الصحف... ثم نصف المباني العامة التي في العاصمة .

وبدأ نوسكي — مدير البوليس — بمعاونة شليخر يضرب ضربات مضادة موجعة ، مستخدما أكبر عدد وأوفر ذخيرة ، وفي طرقات برلين المظلمة راح جمع من الفوضويين يبحثون عن المرأة التي تقود كتائب الجياع .

على أن هذه الثورة لم تكن وقفا على برلين وحدها ، بل أن نصف ألمانيا كان في قتال مماثل ، واستخدمت السلطة القائمة بالأمر ذات الأسلوب العنيف لإخماد الثورة ، ولكن قبل أن ينقلب الأمر إلى حرب أهلية ظهرت على المسرح شخصية جديدة مكنت من تهدئة الأمر إلى حد ما... تلك شخصية وتمر الذي جاء بدستور جديد ، ولكنه كان يستند بإحدى يديه على كتف ايرت وبالأخرى على منكب شليخر .

على أن هذا الدستور... وبمعنى أصح هذه الحكومة الدستورية ، كانت منذ يوم تميميدها طفلا ضعيف البنية... واستدعى مجلس الريشتاغ للعمل كما تستدعي الزوجة غير الشرعية لتقوم بدور الأم الطيبة .

ووئدت ثورة الألمان الحمر وليدة... فأعدم كورت إيزنر بطل الجمهورية البافارية بالرصاص... وأرسل كارل ليننخت إلى حديقة الحيوان في برلين كجثة رجل مجهول الاسم... وطمرت جثة روزا لوكسمبورج في طين إحدى قنوات برلين...

وفي بودابست رفع زعيم آخر مطلق السراح من السجن علم الثورة الأحمر ، وعندما اجتاحت الجيوش التشكية والرومانية أراضي المجر تقاطر المئات من اللاجئين إلى العاصمة التي لا طعام فيها ولا وقود... وبقيت الأعلام الحمراء لمدة أربعة شهور تتأرجح فوق أبنية بودابست بمجهودات بيلا كون... إلى أن استطاعت الجيوش الرومانية أن تنهى الثورة وأن تعيد الأمر إلى نصابه...

ودفعت النمسا والمجر بضحاياها من الجوع والبرد ثمن غياب ساستها في السلم ، وهزيمة قادتها في الحرب...

ونجت فيينا من نهاية محققة كنهاية بودابست ، بسبب إقامة مطاهي توزيع الحساء ،

في مكان قصر آل هابسبورج ، ولكن الحواجز الجمركية التي أقيمت على حدود النمسا والمجر كانت تقفل تجارتها ، وبات من الواضح الجلي أن وباء الجوع لن ينجو منه فرد يعيش بين البلطيق والأدرياتيك .

وكانت إيطاليا أيضاً تحس بالجوع . . . ولكن كان هناك ما هو أكثر مرارة منه . . . كان الإيطاليون لازالوا يذكرون كابوريتو . . . ثم زاد الطين بللة ، إدراك الشعب الإيطالي أن ممثليه في فرساي لا ناقة لهم ولا جمل في الأمر ، الذي يعده ممثلو فرنسا وبريطانيا وحدهم . . . وبدأ أن لا أمل في مجموع السياسيين الذين يملكون سلطة اسمية . . . وهكذا وثبت إلى الضوء في نصف مدن إيطاليا عصابات الارهابيين والجمعيات السرية . . . كلها تعمل لاغتصاب السلطة من روما .
وفي غمرة هذا الاضطراب جمع دانونزيو الشاعر الطيار نفرا من المقاتلين واحتل مدينة فيومي . . . ولم يخرج من معقله فيها إلا إرسال وزارة روما بارجة حربية لاقتلعه . . .

وتبع هذا أن فكر عمال المصانع في الحصول على حقوقهم . . . والوصول إلى الحقوق لم يكن له من سبيل غير الاضراب ، ولأول جولة استطاعوا أن يقبضوا على ناصية الحال في ستمائة مصنع ، وفي لحظة بدا أن إيطاليا تتجه إلى الاشتراكية ، ولكن كانت الحركة تفتقر إلى شخصية قوية كشخصية لينين أو لينينخ . . . ولكن لم يحل أغسطس عام ١٩٢٢ حتى انتقل الأمر إلى اليسار . . . فقد قامت هيئة جديدة هي ميليشيا الفاشيست .

وفي غمرة انتشار الفوضى والاضطراب في المدن الشمالية ، ظهرت من وراء الأفق شخصية بنيتو موسوليني زعيم الاشتراكية في إيطاليا ، كان يرغب ويزد من نافذة إدارة صحيفته في ميلانو ، ولكن روما كانت لا تزال تملك المحرك الذي له أن يقتل الفاشية أو يحييها ، وهمس رجال الأعمال وأصحاب الأراضي ، ثم قادة الجيش في أذني الملك فيكتور عمانويل يطالبون بإعادة الاطمئنان إلى النفوس . . . وبدأ الأمر بالالتماس . . . ثم بالطلب ثم بالتهديد ، ولدهشة أوروبا كلها بعث الملك عمانويل في التاسع والعشرين من أكتوبر يستدعي موسوليني إلى روما . . .

ورحل الفاشيستي الأول من ميلانو في عربة من عربات النوم ، وتوقف دقيقة واحدة على أميال قليلة من روما، كي يرتدى قميصه الأسود ، وأعلن لانتصاره الذين كانوا ينتظرونه نبأ انتصاره ثم ذهب إلى الكوبنبرال في عربة مكشوفة ... ولم يكذب يتقدم نحو ملك إيطاليا حتى انحنى قائلاً : « أرجو جلالتيكم العفو عن ارتدائي ثياب القتال في حضرة جلالتيكم » ثم قبل يد الملك ...

وفي اليوم الثاني عرض ملك إيطاليا عشرين ألف فاشيستي في طرقات روما ، ولكن هذه القمصان السوداء كانت شيئاً آخر أ أكثر مما قدره ملك إيطاليا ... فقد بعث يطلب رئيس وزارة جلاءه ديكتاتور في ثياب زعيم !

وبعد عام من الزحف على روما ، عندما ما وقفت السفن الإيطالية تطلق قنابل مدافعها على جزيرة كورفو ، مسحت أوروبا آثار النوم عن أعينها ، وبدأت تتحقق من أن قوة جديدة تدفع في أفقها إيطاليا القديمة لتقودها إلى مقدمة الصفوف .

ولكن هذه الصورة الملونة التي كانت تبدو للناس ، غير واضحة المرعى والأسلوب ، وإن كانت هذه الصورة منقولة من أعماق الفاشية نفسها ، أجاب عنها زعيم إيطاليا الجديد عند ما سئل عن المشكل الوحيد الذي تتلمس الفاشية حلاله ... إجابة مقتضبة ولكنها ذات معنى كبير : « الأمد الذي يمكن أن تستمره ... !! » وقد طال هذا الأمد أكثر من خمس قرن بقليل ...



أتاتورك

وجه رجل ... وجه وطن وشعب ...

وجوه جديدة على مسرح العالم

وكون الجوع والفوضى والشعور بالرغبة في الانتقام والأخذ بالثأر أوروبا جديدة .. ولم يكن هذا وقفا على ناحية دون أخرى .. بل كان عاما، ففي بريطانيا هدد زعماء العمال «بعمل مباشر» ووقف بوب ويليامز سكرتير اتحاد عمال النقل يعلن جهرا عن أمانه في الثورة والشيوعية .

وفي ألمانيا راح أفراد «القوات الحرة» من مجموع الضباط الذين سرحوا من الجيش ، يزرعون الطرقات ، ويشيرون الفرع في كل مكان ، فيقتلون دعاة الاشتراكية ، ويهددون بمقاومة جيوش الاحتلال من الحلفاء .

وكان لآسيا نصيبها في عدم الاستقرار .. ، كانت الامبراطورية العثمانية قد مزقت إلى عدة قطع ، وكان لهذا التمزيق صدى أكبر مما كان لتمزيق امبراطورية آل هابسبورج أو آل هو هينزلرن ، كان الجيش التركي قد سرح وكان الفلاح التركي دون أى توجيه من الحكومة أو الدولة، قد راح يحفر الأرض ليجث عن غداء الغد ، والأسلاب التي تنتج عن تقسيم أمة مغلوبة تبدو ثمرة سهلة الهضم .. ، فكان إنشاء امبراطورية قوية على أنقاضها هو الحلم الذي لم يغمض فنريوس رئيس وزراء اليونان عينيه إلا رآه .. ، وعند ما كان الملك قسطنطين يتفاهم مع الألمان ، كان فنريوس في الجانب الآخر يثق كل الثقة بانتصار الانجليز .. ، وفي عمرة هذه الثقة راح يساوم مستر لويد جورج من أجل الغد وما بعد الغد .

فلم تكف الرصاصة الأخيرة تستقر في أقرب جسد تصادفه ، وينفخ في البوق إيدانا بانتهاء الحرب ، حتى شد فنريوس رحاله ينتظر المنحة التي ستعطى له ، وفي أروقة فرساي كان نشاطه ملحوظا ، ولم يترك لويد جورج بل بقي له كظله ، وكلما ترك هذا مجلس الأربعة ، كان فنريوس يعتصب منه الوعود .

على أن الأستانة نفسها كانت في شاغل عن هذا كله .. ، كانت المدينة تعيش تحت نظر الأجنبي وفي ظل مدافع سفنه ، وكان كل صوت وكل همس يقاس ويقتص ، فقد كانت المدينة الكبرى وكرا للجاسوسية والجواسيس من كل لون ويتحدثون بكل لغة .. وكل فرد من هؤلاء يكون لنفسه فكرة عما يمكن أن يحدث في فرساي ، وفي طرقات المدينة الخفية كان جنود الحلفاء في ثيابهم الرسمية يتماشكون بالتلايب ، فلم يكن هناك استقرار حتى بين الأصدقاء المنتصرين !!

وجأة انقلب ضباط الاحتلال الانجليز إلى رجال بوليس ، كانوا يتجولون في كل طريق .. ويطلقون كل باب وقد أمسك كل منهم بأمر القبض ، وكل هؤلاء كانوا يبحثون عن قائد في مقتبل العمر ، استطاع أن يقاتل الانجليز في قوة الأسد وحنكة الشعب في الدردنيل وفي فلسطين ، وجاء المنتصرون الآن ليأخذوه إلى مالطه . ولكنهم لم يجدوه ، وكأنه قد تبخر في الهواء ، فهو لم يوجد حيث ظن بوجوده ، وجثته لم يلفظها البحر عند القرن الذهبي .

وبقى في العاصمة الكبرى رجل واحد لايعنى به أحد ، ولا يفكر فيه إنسان .. ، هذا الرجل هو السلطان رأس الحكومة التركية التي كانت تحكم جسد أمة لاروحها .. ، وكان عند ما يذهب الى الصلاة في المسجد ، لا يفكر فرد في اللحاق بعربته ، ولولا بعض الأجانب الذين كانوا يقفون ليحدقوا في الموكب الحزين ، لما أحس أحد بأن هناك شيئاً يسير مع الأيام ، كان السلطان قد أضع ما بقي في يده من تراث أجداده بتعاونه مع الأجانب ... فبات عظيماً بالنسبة لالشيء يصغره .

ولكن الناس في الإستانة .. بل وفي تركيا كلها ، كانوا يجتمعون ويتهامون ، حتى في أعقاب الصلاة في المسجد ، متحدثين عن الرجل الذي استطاع النفاذ من بين أصابع الانجليز ، ليرحل إلى أراضى الأناضول العارية .. ، كان كل فرد يسأل نفسه ماذا يفعل كمال .. بل ماذا يمكن أن يفعل .

وعرف الناس كما عرف السلطان أن كمالاً يجمع جندا حفاة الأقدام ولكنهم يحملون أسلحة ويمكن أن يقاتلوا ، وشتان بين الجندي المأجور لزم من يجب أن يكسى وأن يطعم طواله ، وبين الجندي الذي يندفع الى الجهاد بوازع من نفسه ، ومد السلطان يده إلى الأمر ، فبعث وراء كمال ليرجع إلى الإستانة ... ولكن الرجل

أبى إلا أن يبقى في الأناضول ، حتى يعدل من الأساس ... وبقي الرجل عند وعده ...

وفي طوال هذا الزمن كان فنرييلوس يعمل لتحقيق أحلامه ، ووصلت الأنباء بأن جيشا يونانيا قد أنزل إلى الساحل التركي في الأناضول ، وأن عملية الغزو سهلة ميسورة ، وأن لاشيء يعطل من القضاء على الثائر التركي ، الذى يظن أنه هو وحفنة من الرجال ، يمكن أن يعطلوا الحكم الذى صدر فى فرساي .

ولم يكن هناك فيما يبدو إلا أحد أمرين : إما التسليم وإما الفناء ، فلا يمكن قتال جيش وافر العدد مسلح بمدافع انجليزية وسفن حربية فرنسية ، ووراءه رئيس وزارة فى لندن ، قد ربط مستقبله بقضية اليونان ، ولكن مع هذا كان بين هؤلاء وبين النصر ، عبقرية جندى واحد وعزيمة هذا الفرد .

كان فنرييلوس قد رجع من باريس فى سبتمبر عام ١٩٢٠ ، وكان الملك الكسندر قد اعتلى العرش ، خلفا للملك قسطنطين الذى كان يميل إلى الألمان ، والذى أرسل إلى المنفى ، وفى مساء يوم من أيام أكتوبر سار الملك فى حدائق القصر ، ووقف يراقب القروود ، ووقف الملك يداعب قردا ولكن القرد قضم قطعة من يده ... وظن أن الأمر شئ عارض .. ولكن الملك الكسندر مات متأثرا من الجرح وماتت معه أحلام اليونان فى امبراطورية واسعة ... وبدأ قسطنطين رحلته عائدا إلى اليونان التى بدأت فيها حملة انتخابية ، وظن فنرييلوس أنه فى مأمن من عادية حرب الأصوات ، ولكن نتيجة الانتخاب كانت فى الجانب المضاد له .. وفى أيام قليلة كان فنرييلوس يترك اليونان فى حلقة الظلام على ظهر دارعة انجليزية ، وذهب السياسى العجوز .. وجاء الملك السابق الذى قيل عنه إنه انتهى ، وقد وصل ميناء بيريه وسط مظاهر ترحيب لم تعرفها الديمقراطية من قبل ، ودخل أمينا فى موكب المنتصر .. ، ولكن كان إلى أبعد من هذا للشرق ، جيش يونانى قد ترك ليقاتل وحده ... فان شعب فرنسا كله ونصف أهل بريطانيا على الأقل ، تواقين إلى الانسحاب من مخاطرة فى سبيل التعاون مع ملك عرف بتمشيه مع الألمان ولم تمر أسابيع قليلة ، حتى رحل نفر من الفرنسيين للتفاهم مع مصطفى كمال .

وكان الجيش اليونانى أثناء هذه الحوادث يتقدم إلى الشرق نحو أثقرة .. ، ووصل إلى أقل من ثلاثين ميلا من العاصمة التركية الجديدة، ثم توقف عند نهر سقاريا الذى كان يسد الطريق .. ، وإلى ما وراء النهر كانت حفنة من الرجال يقودهم قائد عبقرى على أتم أهبة للموت مع جنوده من أجل الوطن ، واستمرت المعركة تأثرة صاخبة مدة أربعة عشر يوما ، وبدا في لحظة ما أن اليونانيين سيكتسحون الخطوط التركية ، ويمتلون على الأتراك صلحا أساسه أطماع المنتصر الذى سيغزو أقره نفسها ، ولكن شيئا من هذا لم يتم ، فقد وقف كمال على رأس جنده عند الحفرة الأخيرة لا يتراجع ، فإن كل جنود العالم كانوا عاجزين عن أن يتزعوا منه ثقته بنفسه وإيمانه برجاله ، وفي الأمر اليومى الذى أصدره فى آخر يوم للموقعة قال : « أيها الجنود ! إن الغرض الذى يجب أن نصل إليه هو البحر الأبيض المتوسط » .

وابتداء الجيش اليونانى يتقهقر . . . ثم أسرع فى تقهقره . . . ثم انقلب الأمر إلى مطاردة عنيفة لاهوادة فيها وألقى بعض الجنود أسلحتهم يستسلمون ، فقبل إنهم ذبحوا . . . ووصل الباقون إلى البحر ليستقلوا قوارب مكشوفة عارية مقفرة من الطعام والماء . . . ووصل بعض هؤلاء إلى بيرية ليجدوا حكومة تخاف الثورة ، ففرغت منهم أسلحتهم ، ثم بعثت بهم إلى منازلهم فى غير صحة .

ووصل مصطفى كمال إلى البحر هو أيضا ، ولكنه وصله فى زهو المنتصر . . . وكان انتصار أمة قد هزمت تماما قبل هذا بأربعة أعوام صفة قاسية لفرساي وبدا أن لويد جورج يستعد للتدخل لارجاع الأتراك إلى الوراء ولكن بونارلو كان العامل الحاسم لأنه قال : « إننا لن نستطيع أن نقوم وحدنا بأعمال البوليس فى العالم كله !! » وبدأت الديلى إكسبريس حملة صحفية ضد الحرب الجديدة ، ووجدت الديمقراطية المحمودة التى أعيتها الحرب العالمية الأولى ، سلاحا جديدا فى قوة الصحافة .

وكان جنوب شرقى أوروبا لا يزال مضطربا ، ففي اليونان انقلب الترحاب الذى لوتقى به الملك قسطنطين قبل هذا بعام واحد عند ميناء بيرية إلى غضب رجل الشارع ، ففي كل مكان كان الغوغاء يطلبون تضحية أولئك الذين سبوا انهيار أماني اليونان الجديدة .

ووقف ستة من أعضاء الوزارة ، ومن أنصار الملك الذي أسقط مرة عن عرشه ، أمام الحفر التي أعدت قبورا لهم ثم أعدموا رميا بالرصاص ، وعولج رئيس الوزارة جوناريس على عجل لينقل من المستشفى إلى مكان الاعدام .

ولكن لم تكن أية كمية من الدم تكفي لتمحو من الذاكرة قصة ضياع الامبراطورية ، التي كان اليونانيون يحملون بها ، ولا ذكرى الآلاف الذين فقدوا حياتهم من أجل هذا ولا تكفي الدماء أيضا لتستعيد لفزيوس السلطة التي سلها منه قرد

ولم يكن مصطفى كمال نفسه في حال أحسن ، ففي ليلة من ليالي أغسطس بعد أعوام قليلة ، علفت على الأخشاب إحدى عشرة جثة في ميدان إنقرة لاحد عشر رجلا ، كان فيهم من عاونوا أبا الأتراك في قتاله ضد اليونان ، ولكنهم كانوا قد تحولوا للتآمر عليه .. فكان لزاما أن يرى العثمانيون ماذا يمكن لسيد تركيا أن يفعل .

وأوجد كمال أتاتورك دولة جديدة من الرماد الذي انتهت إليه الامبراطورية القديمة ، دولة استطاع كل فرد فيها أن يرفع رأسه بين أمم الغرب ، وقد يقولون إن كمال أتاتورك كان عنيفا ، ولكن لاشك أنه كان محبوبا ، فان الفلاح التركي كان يسير خمسين ميلا على قدميه في صقيع الأناضول ليرى أباه

على أن هذه الروح القومية التي أثارها تركيا ، كانت ثائرة في أكثر من نصف الدنيا ، ففي الشرق الأقصى كانت الصين تسير بخطى وئيدة تحت قيادة صن ياتسين ، وفي الهند تملك المهاتما غاندي القلوب بدفاعه عن قضية الهند .

وفي بلاد العرب كان ابن سعود ، الذي بقى ثلاثين عاما لا يرقد إلا متوسدا سيفه ، يبني دولة عربية قوية ، وانتشرت هذه الروح الوثابة الاستقلالية إلى سوريا وفلسطين ومصر ، وفي مراکش كان عبد الكريم - على الرغم من قوات فرنسا وأسبانيا العسكرية - يبني نهضة جديدة عسكرية بين البربر

على أنه في طوال هذه الأعوام الأربعة التي تبعت الحرب ، نسي الناس أن للطبيعة نفسها قوة وخجأة قامت ثورة بركانية في اليابان ربما اعتبرت أقسى ثورة للطبيعة منذ أيام نوح ، فشطرت مدينتي طوكيو ويوكوهاما وقتلت مائة وستين ألفا ودمرت

ما قيمته خمسمائة مليون جنيه من الممتلكات ، وكانت كل الثورات الأهلية إلى جانب هذا لاشيء .

على أن كل هذه الفوضى والاضطرابات والمذابح ، كانت تكفي ليسكن العالم بلا حركة . . . ولكن الناس كانوا وقوفا على أقدامهم تملأهم روح الكفاح للعمل وراء أى قائد يوجههم إلى ثورة جديدة .

ولم يكن للأمر عامل واحد إلا الجوع . . . وإذا كانت الحرب قد جاءت بطبقة جامدة من الحكام ، فإن الأفراد كانوا مشدوهين بتأثير الحال الاقتصادية التي رفعت أمما جديدة من التراب وأرغمت الجيوش على الثورة والنهب فى الطرقات !!!

سرما لوطارنو...

وفي فرساي أعطيت بريطانيا وفرنسا الفرصة لاقتاذ العالم من النكبة الاقتصادية، ولكنهما اتمهنتا كل فكرة في خير الغير، وكان هذا الحمل الثقيل الذي وضع على عاتق الشعب الألماني لمحاولة إيجاد سلم مثالي، يهدد أوروبا كلها بسحب قائمة، توشك أن ترددها في ألقاض الامبراطورية الألمانية .

ولكن مع هذا، كان لازال في استطاعة فرنسا وبريطانيا إذا تعاونتا، أن تنقذا ماتبقى بعد هذه الأعوام الأربعة، لو كان سياسيوها رغبوا في هذه النجاة . . . كان كليمنصو قد ذهب، وفي التعقيب على هذا قال لويد جورج « لقد كان الفرنسيون قد هم الذين أحرقوا جان دارك هذه المرة » ، وفي مكان كليمنصو كان الفرنسيون قد جاءوا بريمون بوانكاريه وهو على ما يقول « ميشيل فوت » في كتابه (تاريخ العصر الذي نعيش فيه) « كثير اللغط ، ضيق الصدر عنيد » .

ولكنه كان أكبر سياسي أوروبا الذين جاءوا بعد الحرب رغبة في ارتشاف ثمار النصر حتى الثمالة .

وبوانكاريه من أبناء اللورين، وآراؤه كعقيدة أبناء الاقليم الذي جاء منه، تتجه إلى إضعاف النسر الألماني، ولهذا فان التعويضات يجب أن تدفع كاملة، مهما كان أثر هذا الدفع بالنسبة للشعب الألماني .

على أن صوت ألمانيا كان قد تجاوز الحدود صيف عام ١٩٢٠ في مؤتمر « سبا » SPA وكان أكثر سياسي أوروبا مجتمعين حول المائدة، وكان يمثل ألمانيا في المؤتمر والتر راينو سيد الصناعة فيها، وهو رجل يعتر بنفسه وبقدرته على المال والعمل . . . ولكنه في غمرة حبه لوطنه تكلم عن « سياسة التكملة » أو « سياسة الانجاز التنفيذية إلى غاية ما يمكن » ، وكانت هذه السياسة فكرة ألمانية مبتكرة للتهدة !!

واستمر المؤتمر يعمل في هدوء ، وخباء وثبت إلى الضوء شخصية جديدة ، شخصية رجل كان يجلس في طرف القاعة ، ولأول وهلة ضرب المنضدة بيده وصاح متحدثا عن تحد الحلفاء لألمانيا ، ولم يكن الرجل عضوا في المؤتمر ، واستطاع راينوان يهدى من العاصفة بينا بقي الرجل العنيف يلوك بين أسنانه حديثاً عن روح الشعب الذي يختلف عن باقي شعوب أوروبا بالطبيعة .

وراقبت ألمانيا كلها هذا الصراع بين الرجلين ، لأن هوجو ستينيس كان قد نال مكانة بين الشعب الألماني ، وهو رجل كان قد بدأ حياته في أولى درجات السلم ، ولكنه كان إذ ذاك يستخدم أكثر من مائتي ألف عامل في مناجم الفحم ومصانع الصلب التي تحمل اسمه .

كانت ألمانيا كلها تعرف لحيته السوداء الكثيفة ، ونظرات عينيه العميقتين ، وصوته الخشن ، وكان الرجل ينادى بسياسة مقاومة فرساي ، وبدأ الشباب الألماني يرى فيه أملاً أكبر مما كان يجده في شجاعة راينوان التي تشتد على الصبر والتحمل .

وجاء « مؤتمر جنوا » بعد أشهر قليلة في أعقاب مؤتمر سبا ، وحاول راينوان مرة أخرى أن يحصل على معاملة أحسن للشعب الألماني ، ولعلها كانت محاولته الأخيرة ، لأن فشله كان معناه تسليم ألمانيا لستينيس .

كان راينوان كبير الأمل والثقة ، يتحدث بإخلاص ، ولكن بوانكاريه كان صلبا جامدا عاطفة ، ولم يكن للباقة لويد جورج وراينوان أن تحوله عن أصراره ، وانتهى مؤتمر جنوا على لا شيء وبدأ راينوان رحلته المليئة بالقلق عائدا إلى برلين مهزوما خالي الوفاض إلا من معاهدة صداقة وقعها مع الروس في ريبالو .

وبينا كانت سيارته تدرج به إلى مكتبه في برلين لاقى حتفه برصاصة محكمة التوجيه ، وكانت هذه النهاية المؤلمة هي الرد الوحيد على عناد بوانكاريه .

وعلى الرغم من أن المندوبين الاشتراكيين صاحو في وجه زعماء الوطنيين عندما دخلوا قاعة مجلس الريشستاغ قائلين « القتلة ! القتلة ! » فان الأفراد الذين كانوا يقفون وراء الفوضويين لم يقدموا للعدالة ، ولم يكن هناك أي وقت للتفكير والعدو قد اجتاز الأبواب دون أن يتسلق السور ، فان بوانكاريه وكبار رجال الصناعة

الفرنسيين في غمرة رغبتهم في زيادة إنتاج صناعة الصلب في حوض الرور، قرروا إرغام ألمانيا على الدفع بأسنة الحرب ، وتقاطرت القوات الفرنسية إلى الرور وطردها ١٤٧٠٠٠ ألماني من منازلهم، وأطلق الرصاص على الناس في الطرقات فقتل ٧٦ شخصا، وكمت أفواه الصحف واختلت كل مراكز الحركة ، وحاول بوانسكاريه بمطربة من الحديد أن يدمر قومية أربعة ملايين من الألمان يقيمون في وادي الرور ، ولكن هؤلاء كانوا قد أجمعوا أمرهم على مواجهته بشجاعة في مقاومة سلبية . كان بوانسكاريه هو المنتصر ، وعلى ألمانيا أن تعمل لإنهاء هذه المقاومة ، ولكن ألمانيا واحدا شارك بوانسكاريه في هذا الفتح ، كان هذا الرجل هو هوجو ستينيس ، فقد جراً الفرنسيين على دخول الرور ثم نظم المقاومة السلبية ، وكان قادراً على أن يسير في موكب المنتصر على أنقاض شعبه .

وبعثت من برلين الملايين من أوراق النقد لإطعام المضربين ، كانت آلة الطباعة وحدها هي التي تمكن من إحياء السياسة الحرقاء في المقاومة ، وكانت الزبد هي وحدها النوع الثابت المستقر من أنواع النقد المتبادل .

وتأرجح سعر المارك ثم بدأ يهبط بسرعة فضاعت معه ثروات الطبقة الوسطى كلها إلا أن هوجو ستينيس كان متأهبا لكل طارئ .. ، وكان هو رسول وصاحب فكرة «الإفلاس الرخيص» وقامر على سقوط العملة ، ولهذا فإنه عند ما فقد نصف الشعب الألماني كل عضد مالي في ليلة واحدة ، كانت مناجم ستينيس ومصانعه صامدة كالطود الشامخ .

وفي هذه الأيام الستمية ، أثبت ستينيس أنه خير صديق لأدولف هتلر الثائر الصغير ، الذي كان إذ ذاك في مطبقة بقلعة لندسبرج يكتب كتابه « كفاحي » ، وكسب أيضا حليفين قويين للمستقبل... تركزت الثروة الألمانية في أيدي نفر قليل من الناس ، وأضيفت كتائب هوجو إلى الجيش القوي المعد من جموع غير الراضين بالواقع أي... المتمردين على فرساي .

وجنى بوانسكاريه ثمار نصره بانهيار المقاومة الألمانية ، ولكن ستينيس كان أبعد نظرا منه ، فقد ضمن الحصاد في المستقبل ، وكان عمل ديكتاتور فرنسا المليء بالانتقام

وروح الشر ، يبعث في الألمان روحا جديدة بدت واضحة في هذا الاصطدام الجنوني الذي حدث في الرور ، وخلف وراءه هذه الفجوة العميقة في وجه أوروبا ، ظلت موجودة حتى عام ١٩٣٩ .

* * *

وهدأت جفاة العاصفة التي لبثت ثائرة في أوروبا طوال الأعوام الستة التي تلت الحرب ، وفي الجانب الآخر من الأطلانطيق ، كانت الولايات المتحدة تجني ثمار الرخاء المندفع اندفاع التيار ، وكان النشاط الصناعي العظيم فيها قد أوجد ركاما عالية من المال ، ووجه المليون الأمريكي أنظارهم إلى أوروبا .

ووجدت آلات الصناعة وأسواق التجارة ، في ألمانيا وغيرها من دول شرق أوروبا ، السبيل للنهوض والتقدم للأمام ، وسرعان ما استعادت جانبا من الاستقرار ، عند ما سكت الأموال الأمريكية كالزيوت التي تذييل الصدا عن المحركات .

وتبعاً للتخفيف الذي أصاب الحمل الثقيل للتعويضات ، ولانخفاض مستوى البطالة بين العمال بدا أن السياسة ستفقد جانبا من صفات الحشونة التي عرفت بها . هذه الحشونة التي جعلت أوروبا التي جاءت في أعقاب الحرب جحما ، ولاشك أن أوروبا كانت تنجح إلى فترة «تعاون وتآخي» لوجازلنا أن نستعيد كلمات خطباء عصبة الأمم ، الذين اعتقدوا أن الكلمات الرقيقة ، يمكن أن تحل مشكلات الشرور القائمة .

وأوضح التغييرات كان في الرجال الذين تولوا الأمر في هذا التطور الجديد .. ، ففي ألمانيا كان جوستاف ستريسمان متأهبا كما يبدو لالتقاط خيوط السياسة التي تركها راينو .

كانت له شخصية تبعث على الصداقة ... وقد اشتهر بشدة قابليته للغذاء والشراب ، وكان شجاعا متمردا ماهرا في النقاش الخاطف السريع ، وكان ارستيدبريان الذي تولى وزارة خارجية فرنسا في ذلك الوقت خطيبا لبق الحديث والأسلوب ، ولا شك أنه كان أعظم خطباء أوروبا في تلك الفترة .. ، وكل ما لحق السياسة الفرنسية من إطناب إنما كان مسببا عن لسانه العذب ...

أما في بريطانيا فقد سبب سقوط وزارة العمال وصول السير أوستن تشيمبرلين إلى مقعد وزير الخارجية ، فأكمل الشريف الانجليزي الثالث الذي قرع نواقيس السلام في كل كنائس في أوروبا ، ولكن تشيمبرلين كخطيب ، لم يكن ليقارن بزميله

ولما كانت الخطابة في ذلك العصر هي الأمرة الناهية في كل الأعمال السياسية
فقد دخل أوستن تشيمبرلين قاعة مجلس العصبة في جنيف على أطراف أصابعه ، وهو
مزعزع الثقة بنفسه .

ولكنه مال بث بعد أن شعر بيد بريان تسنده أن بدت له الأمور أيسر مما ظن
وتوقع ، وكان بريان وستريسمان قد مهدا السبيل لهدنة في هذا الصراع القديم الذي
هدم أوروبا ، وكانت كل ترتيبات التزاوج معدة ، وكان الباقي فقط هو أن
يقوم تشيمبرلين بدور صديق العروسين حاملا هدايا الزواج ، في ضمان بريطانيا
للحدود المشتركة !

كان كل من بريان وستريسمان يعرف ماذا يريد ، وكان بريان يعتقد أن ضمان
بريطانيا للحدود الفرنسية سيعبد الطريق أمام أوروبا مسالمة ، تعيش تحت سيادة فرنسا
الروحية ، وكان ستريسمان يريد أن يكسب وقتا لدولته لتعاود الانتعاش ، وأن يكسب
الوقت الكافي للموارد الصناعية الكبرى التي لألمانيا كي تعاون على إقرار السلم . .
ودون أن يدرك تشيمبرلين على وجه التأكيد حقيقة ما يفعل ، بل وقبل أن يضمن
وجود قاعدة موطدة غير مسلحة لسلم بين العدوتين القديمتين . . . دفع بحدود بريطانيا
إلى الزين .

ولكن كل هذا المد والجزر كان في الواقع محتفيا وراء سحجف كشيقة ، كان
العالم كله تواقا إلى هذا الرخاء اللامع ، وفي غمرة الرغبة الملحة لعقد الاتفاقات
والمعاهدات أرسلت نصف دول أوروبا مندوبيها إلى شواطئ بحيرة ماجيور لدفن
« نصف دسته » من الأحقاد .

وكان المنظر جميلا رائعا ، وكان ستريسمان يترك منضدة المجلس ليلا ليحتسى الجمعة
مع الصحفيين في مقهى بافاريا الشهير عند حافة البحيرة ، وهكذا كانت ليالي عصبة
جنيف . . . وقد وصل أوستن تشيمبرلين إلى قاعة الاجتماع في سيارته الرولر ويس
الفخمة ذات الوسائد الحمراء ، وجاء موسوليني الديكتاتور الفضايف إلى ميلانو بقطار
خاص ، ثم في سيارة من سيارات السباق حتى ستريسا ، وبعدها بقارب من القوارب
التي كسبت الأرقام القياسية إلى لوكارنو !!

وفي مساء السادس عشر من أكتوبر وقعت المعاهدة ، وكانت المدينة الصغيرة
عند حافة البحيرة مليئة بالمتخاضرين على أصوات الموسيقى . وتجمع الناس حول دار
البلدية ، وامترجت صيحاتهم بدقات نواقيس الكنائس ، ولإشباع هوية الناس قربت
ورقة المعاهدة من النافذة ، وأضيئت حولها الأنوار ، كما تضاء الشموع حول المذبح ،

واهتزت السماء من صيحات الفرح والسرور ، ووصل صدى الصياح إلى أوروبا كلها ،
فقد بدا أن الأيام الحالكة المظلمة قد انتهت إلى الأبد ! .

وتكلم بريان لهذه المناسبة السعيدة ، فوقف في جنيف يرحب بعودة ألمانيا
إلى العصبة قائلا : « لقد انتهت هذه الحرب الضروس التي كانت بيننا ، انتهت الآلام
والأحزان . . . القوا بعيدا بالبنادق والمدافع والرشاشات الآلية . . . فها تجيء الآن
بدلها الرغبة الطيبة . . . التحكيم ثم السلام . . . » .

ولكن كانت هناك أشياء تعكر هذا التنسيق الجديد ، فإن بريطانيا لم تنل
نصيبها كاملا من هذا الرخاء الذي يطغى على العالم ، فإن عودتها إلى قاعدة الذهب ،
قيد من سيادتها على أسواق الفحم في العالم ، وكانت مثقلة بإضراب عام ، وكان صوت
أ. ج. كوك أقرب إلى لهجة لينين وليينخت .

ولكن كل هذا لم يعكر صفاء الاعتقاد بأن العالم قادم على أيام أجمل وأروع .
وعاد بريان ثانية إلى العمل من أجل المعاهدات ، ووجد في كيلوج [الولايات
المتحدة) مرتعا خصبا ، ووقعت خمسون دولة ميثاق « بريان — كيلوج » وهكذا
التست دول العالم السلم في لوكارنو وتوهمت أنها وصلت إليه .

ورفع ثقل التعويضات عن عاتق ألمانيا بطريقة بسيطة ، هي إقراض ألمانيا أكثر
مما دفعت ، فكانت كأنها قد دفعت ثلاث بنسات في صندوق الزور لتأخذ بدله شلنا !
وما دامت أمريكا مستمرة في إرسال الأموال عبر الاطْلانطيق ، فإن الرخاء بدا
وكانه سيستمر ، وكانت أمريكا أول من لا يشك في هذا ، وفي عام ١٩٢٨ صك
هربرت هوفر في حملة انتخابه بعض النقود وقد حفر عليها هذه الكلمات : « تصلح
لأربع سنوات في رخاء !! » .

كانت هذه الأعوام العشرة منذ نهاية الحرب قد أوجدت عالما جديدا ، وقد هزم
النمر الذي يمثل الثورة في الغابة التي ظن أنه سيدها ، كانت ألمانيا فيما يبدو على أتم
استعداد لتتناسى فرساي والروور ، ولا شك في هذا ، بعد أن فشل أدولف هتلر
في الانتخابات ، وكانت فرنسا وبريطانيا على أحسن ما يمكن من صلوات لم توجد
في وقت ما قبل هذا منذ فرساي ، ولم ينكر السياسيون رضاهم . . . وكان العالم كله
يجمع من الناس جلسوا للعشاء وسط أبهج مظاهر الفرح والسرور . . .
ولكن إلى متى ؟ !! .

عند ما جنت أمريكا

... ولم يكن هربرت هوفر خطيبا ، ولكن عند ما وقف ليتحدث إلى الناس قائلا : « إننا في أمريكا اليوم أقرب إلى الانتصار النهائي على الفقر مما كنا في أي يوم من تاريخ هذه الأرض ، وإن الأسرة الفقيرة تختفي من مجتمعا ، ولكننا لم نصل بعد إلى كل غرضنا ، إلا أننا قد أعطينا فرصة التقدم بسياستنا في الأعوام الثمانية السابقة ، وسنستطيع بمعونة الله أن نصل إلى اليوم الذي يختفي فيه الفقر تماما من هذه الأمة! » عند ما قال هوفر هذه العبارة ، صاحت الجماهير هاتفة له حتى غطت صوته ، ثم راحت تتقدمه حتى أدخل إلى البيت الأبيض ، كرئيس للولايات المتحدة بأغلبية ساحقة .

وبقيت الولايات المتحدة اثني عشر شهرا موطنا للمضاربات المالية ، وكان الكثيرون من كبار المالىين قد جاءوا بأموالهم ثانية عبر الاطلانطيق ، وألقوا بها في أسواق نيويورك . كان كل فرد يتحدث عن الأوراق المالية . . . وباتت أسماء شركات الصلب الأمريكية ومصانع جنرال موتور بأوراق التأسيس ورأس المال . . . معروفة مذكورة على كل لسان أسوة بأسماء باب روث وبوب جونس ودمبسي عملاق الملاكمة . . .

كانت النشوة تتملك كل فرد . . . قارة مليئة بالرجال والنساء كل من فيها مخمور بالأوراق المالية والسندات !

وجاءت أيام خمسة هزت العالم كله . . .

توقفت الأسعار . . . ثم هبطت الأسهم والسندات قليلا ، وفي ليلة الثالث والعشرين من أكتوبر أعلن المالى الكبير البروفيسور ايرفنج فيشر ، أنه يتوقع تحسن الأحوال . . . كما أعلن رجل آخر من رجال المال أن الأوراق المالية قد وصلت إلى آخر ما يمكن أن تصله في مستوى الهبوط !

ولكن جاء الصباح التالي بجديد . . . كان يوما قارص البرد . . . ومع هذا كان أناس كثيرون في الأسواق . . . وقد بقيت السوق متماسكة بعض الوقت برغم أن البيع كان كبيرا . . . ثم عاد الهبوط ثانية ، وأولئك الذين كانوا يثقون بما قاله أنبياء الأمس لم يبيعوا !

وفي ذات الصباح قرر خمسة من كبار المالمين أن يضحى كل واحد منهم بأربعين مليوناً من الدولارات لايقاف الهبوط ، وقد نجحت الفكرة بعض الشيء . . . ولكن عند ما انتهى اليوم كان اثني عشر مليوناً من الأسهم والسندات قد بيعت بخسارة كبيرة خشية هذا الهبوط .

وكان يوماً الجمعة والسبت أحسن حالا . . . ولكن في يوم الإثنين عادت الحال إلى أسوأ مما كانت ، وعند ما علا صوت الناقوس في القاعة الكبرى بيورصة الأوراق المالية يدق دقاه العشرة في صبيحة يوم الثلاثاء كانت الأسعار قد وصلت إلى الحضيض ، واضطربت المواصلات التليفونية . وفي نصف ساعة بيعت ثلاثة ملايين من الأسهم ، وعند منتصف النهار كان عدد الأسهم التي بيعت قد وصل إلى ثمانية ملايين ، ثم إلى اثني عشر مليوناً عند الواحدة والنصف ، وعند ما حان موعد الانتهاء كان العدد قد وصل إلى سبعة عشر مليوناً !

وبدأت أمريكا تنصت لأنباء جديدة عن حوادث انتحار ، وعن إقفال المصارف لأبوابها في وجه المذعورين الذين جاءوا يسحبون أموالهم المودعة في المصارف ، ثم عن البضائع التي في المتاجر ولا تلتقي من يفكر في الشراء . . . وكانوا في بروودواي يعرضون قصة (أنوار المدينة) لشارلي شابان ، وقد وقف جمع كبير من الناس في صفوف متراصة عند باب الملهى في انتظار العرض ، وسأل عابر سبيل : « هل هذا حانوت لبيع الخبز ، أم هو أحد المصارف ! »

وبقي الذعر والخوف يكتسحان أمريكا لثلاثة أعوام كاملة ، إلى أن تمكنت ثانية بمجهود جبار أن تستعيد سكينتها ، أو على الأصح أن يجد كل فرد موطناً لتقديمه كى يقف معتدلاً ، ولكن باقى العالم لم يوفق إلى شيء كهذا . . . فإن الأيام الخمسة التي اجتاحت سوق الأوراق المالية في نيويورك فقوضت من جدرانها ، كانت إنذاراً لشيء أكبر من نهاية عهد هادرنج وكوليدج . . . فإن هذه الأيام الخمسة

قد قوضت ما فعلته لوكارنو ، وحولت أحلام بريان وسترسمان إلى كابوس . . .
ودفعت آسيا إلى الحرب ، ووضعت من فرنسا لترفع ألمانيا ، وعادت بالجنس البشري
إلى العشرين سنة الأولى من القرن العشرين ، وقتها كان العالم يعج بالجيوش التي تملأ
طرق المدن زاحفة إلى ميادين القتال .

كانت أمريكا قد قطعت خط الحياة المالى عن أوروبا ، وكانت قد أقامت جدارا
عاليا من الجمارك في وجه تجارة العالم مع ضرورة سداد ديون الحرب ، وكانت قد
أغلقت خزائنها على احتياط الذهب لتستطيع أن تخفض الأسعار ، واستطاعت لعنة
أشهر قليلة أن تخفي هذه الحقيقة المرعبة ، ولكن هذا كله لم يمنع انتشار الوباء إلى
كل دولة في كل قارة .

وفي عام ١٩٣٣ كان في العالم ثلاثين مليونا من العمال العاطلين ، وهبطت تجارة
العالم إلى ثلاثين في المائة من مستوى عام ١٩٢٩ ، وفي تتابع سريع ثارت خمس
ولايات في أمريكا الجنوبية على حكاهم الذين كانوا قد أسسوا ديكتاتورياتهم على دعائم
مالية مقترضة من نيويورك ، وكانت هناك ثورة مكبوتة في بورما وأخرى في جزر
الهند الشرقية ، ثم بدأت ثورة بين المزارعين في الهند وتحولت هذه إلى ثورة عامة
على الحكم الانجليزي .

* * *

وكانت الأزمات تتوالى في أوروبا ، كان البنك الرئيسي في فينا قد أغلق أبوابه ،
وكانت المتاعب المالية تتعاقب في ألمانيا وبريطانيا ، وضاعت وزارة العمال الإنجليزية
في إحدى الأزمات ، واجتمع سياسيو العالم في لندن وجنيف يحاولون إعادة نصب
السلم والرخاء في العالم إلى مكانه ، ولكن أصوات عجلات المدافع لم تلبث أن أغرقت
الأخشاب المرنة التي كانوا يقفون عليها وسط بحر مضطرب الأمواج .

وأدت ثورة عنيفة في مكدن في سبتمبر ١٩٣١ إلى إلهاب نيران الحرب
في الشرق الأقصى ، وكانت اليابان التي اهترت لذات الموقف الاقتصادي في العالم ،
تبعث بالجنود في جموع هائلة إلى منشوريا ، وفي أقل من عام كان ثلاثون مليونا من
الصينيين تحت حكم اليابان ، ذلك الحكم الذي يقوم على العنف والتعذيب والاضطهاد . .
على أن أم أوروبا كانت جد مشغولة بنفسها ، فلم يكن لديها أى وقت للتفكير

في آسيا ، كان في ألمانيا وحدها ثلاثة ملايين من العاطلين ، وكان نصف الشبان بين السادسة عشر والثانية والثلاثين بلا عمل ، كان كل شيء يتجه إلى إغفال فرساي ، والتوصل من التزامات فرساي . . وكانت أمة فردريك وبسمرك والقيصر غليوم تتحرك ويبدأ إلى العمل ... إلى الحرب الحرب القادمة !!!

كان الجنرال كونت فون شليخر يعمل في الجيش الألماني عند ما أمكن سحق الثورة الألمانية الحمراء في عام ١٩١٩ . . ، وعند ما انتهت الثورة كان شليخر لا يزال في ألمانيا ، ولكنه كان أوسع نشاطا من أن يقنع بمكانته في الجيش ، وشليخر جم النشاط .. ماهر .. لا يجهد العمل المتواصل ، ثم هو بعد هذا كله عنيف مليء بالجرأة واسع المطامع ، ولهذا ففي الأعوام الثلاثة التي سبقت وصول النازيين إلى الحكم ، كانت السياسة الألمانية كلها تدور حوله وحده .

كان شليخر يريد ألمانيا مسلحة من جديد ، وكانت المصانع تعمل بجد وراء أبواب مغلقة ، وكان مسيطرا على أذني الرئيس هينبرج ، وراح القائد الشيخ يفعل كل ما يطلبه ، وكان أول أعمال ديكتاتوريته أن طرد وزارة تحوز ثقة الريشتاغ ، وعين هينريش بروننج مستشارا ، ليحكم دون الاستناد إلى الريشتاغ ، كان هذا نهاية جمهورية ويمر ، وقد ذهبت غير مبكي عليها ، وكانت العقبة إذ ذاك هي : كيف يمكن أن تموم العسكرية الألمانية وهي تخرج من الرماد ؟؟ واعتقد شليخر أن في يديه مقاليد الأمر .

وكون الجيش من ستمائة ألف مقاتل ، وأنشئت ميليشيا خاصة ، جمعها الكبتن روهم من الطرقات للعمل في الطرقات ، روهم الذي اقترن اسمه بأقوى التنظيمات الشعبية لمقاتلي الطرقات والشوارع ، وكان ادولف هتلر نفسه يجوب ألمانيا بسيارة مرسيديس في البداية ، ثم بعد ذلك بالطائرة لإشعال نيران الحماسة في الغوغاء ، وكان هتلر يجد في أوقات فراغه الفرصة للاجتماع بكبار رجال الصناعة الألمانية وزعماء جهتها ، واستطاع ببعض الخطب الجوفاء ، والوعود السخية ، أن يؤثر في الدهماء وساسة الطرقات ، وأن يجعل منهم أعوانا وأنصارا له . . . حتى أصبح حزبه الجديد أقوى حزب في ألمانيا ، ونال في انتخابات يوليو ١٩٣٢ مائتين وثلاثين مقعدا في الريشتاغ .

وكان شليخر لا يزال معتقدا أن في وسعه أن يرقص الأشباح التي يظهرها على المسرح أمام النظارة وهو مختفي وراء مقعده في رئاسة جيش الريخ الجديد ، فطرد برونيج وأجلس مكانه الرجل السميك الرأس فون بابن ... وبدا إذ ذاك بوضوح أن شليخر يقف سادا طريق هتلر .

كان كلا الرجلين يعتقد أن فون بابن أسيره ، وفي لحظة ما هدد شليخر بأن يمزق لابسي قمصان هتلر برشاشات الجيش ... ولكنه في اللحظة التالية فكر في أن الأصلاح والأحسن أن يعود إلى السياسة .

كان هتلر هو الذي خرج منتصرا في معمعة الانتخاب ، ولكن هذا شيء يستطيع هندنبرج أن يحدله حلا ، واجتمع الرجلان في الثالث عشر من أغسطس ولمدة خمسة عشر دقيقة فقط ، واتكأ الشيخ الذي وصل إلى الرابعة والثمانين من عمره في مقعده ، وسأل هتلر عما إذا كان مستعدا ليأخذ نسيبه في حكومة فون بابن الأهلية ، وأجاب هتلر أنه إنما يريد كرسي المستشار دون غيره ، كالحكم الذي يتولاه موسوليني في إيطاليا ، ولكن الشيخ بقي عند رأيه ، فهو لا يستطيع أن يعطى حزبا واحدا قوة مطلقة .

وعاد هتلر إلى الطريق وحيدا . بعد أن حصل على أكبر نصر حصل عليه في حياته ، ولكنه لم يجن منه أية ثمرة ... وتملكه الغضب ...

وكانت هذه الخمسة عشر دقيقة هي ذروة ما يمكن أن يصل إليه حزب النازي الألماني ، وهي التي سببت إقالة وزارة فون بابن ، وحلت الريشستاغ ، وعند ما أعيد الانتخاب هبطت أصوات النازي في مجموعها بملئوني صوت ، لأن الحزب كان يتمزق داخليا ، فإن جنود العاصفة فاترون وغير راضين ، وأخبر هتلر نفسه صديقه جوبلز بأنه يحتفظ دائما بسلاح نارى ليختتم به حياته في أية لحظة !!

كان شليخر قد وطد قدميه ، فقد عاون على قتل الثورة الحمراء بعد الحرب ، وقوض جمهورية ويمر ، وهزم النازيين في المناورة الأخيرة ... وبذلك فما من فرد أو جماعة يمكن أن تقف في طريق سلطانه ...

كانت هذه أحلام رجل نسي أن الثورات لاتصنع في القصور بل في الطرقات ، كانت ألمانيا لاتزال مثقلة بالجوع والبطالة ، وهما عاملان ينخران عظام أقوى أمة ، فكيف بها وهي لا تزال ممزقة الأوصال من أثر الحرب ، فإذا فشلت النازية فمن

الذى يستطيع إتقاذ ألمانيا؟؟ .. ، وأدرك فون بابن وهندنبرج أنهما يخشيان سقوط هتلر أكبر مما يخافان هتلر نفسه .

كان فون بابن تواقا لأن يثأر لنفسه من شليخر ، فأمسك باذن هندنبرج يكرر على مسامعه أن هتلر هو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يضع حدا لهذا الاضطراب ، وكان يكرر عليه فى كل لحظة « استدع هتلر إلى هنا ولا تحول الأمر من سيء إلى أسوأ .. »

وهكذا فى ليلة ٣٠ يناير مرت جموع هائلة تحمل المشاعل أمام قصر مستشارية الريخ وقد وقف هندنبرج فى إحدى النوافذ ووقف فى النافذة المجاورة أدولف هتلر .

وبعد ثمانية وعشرين يوما فقط من هذا العرض الليلي ، وجد شاب هولندى فى الرابعة والعشرين من عمره ، ضعيف البصر محتل الشعور نفسه وحيدا لمدة ثمانية عشر دقيقة داخل بناء الريشستاغ فى برلين ، العاصمة التى لم يرها من قبل قط ، ومعه إضامة من الثقب ، وكان لا يعرف إطلاقا أين هو ... ولا كيف جاء ... ولا لماذا حمل هذه الوسائل التى تعتبر وسيلة للنيران ، فكان أن أشعل النار فى قميصه ، ثم فى غطاء قديم من أغطية المناضد ، ثم فى معطفه ، وأخيرا فى مقعد كبير من الجلد .. ، وقد عاون فى هذا الاشعال سائل قابل للائتهاب كان قد سكب على كل الأثاث ، وحدثت فرقة هائلة للغاز المتصاعد من السائل .

وأضاء اللهب سماء برلين ... ، وبعد ثمانية دقائق فقط من بداية الحريق شق وزير الداخلية الجديد ، الجنرال جورنج ، طريقه وسط الجموع المتراخمة حول البناء المحترق ، وعند ما وصل إلى الحلقة الداخلية حيث وقف جمع من كبار رجال الدولة قال .. « إنها ثورة يقوم بها الشيوعيون .. » وكان على قيد خطوات منه أدولف هتلر نفسه ، ولعله سمع حديثه ، لأنه عقب عليه بقوله : « أنها علامة من السماء فلنحذر وجودهم !! .. »

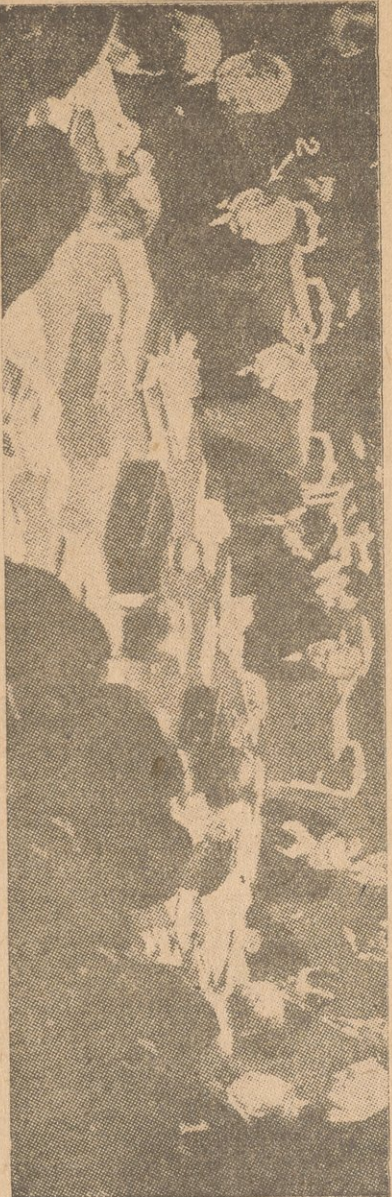
وفى الصباح التالى وافق هندنبرج على تعطيل كل الحريات العامة ، وأعطيت ألمانيا فرصة لانتخاب جديد ، وتولت فصائل جنود الهجوم المسلحين صناديق الانتخاب ، وفى الثالث والعشرين من مارس عرض على المجلس الجديد قانون بإعطاء هتلر سلطان الديكتاتور ، ومرة أخرى وقف جنود الهجوم خلف مقاعد الأعضاء ،

وقد قبضوا على مسدساتهم بأيديهم ، حتى هتلم نفسه ، صاح بالأعضاء : « اختاروا بين الحرب أو السلم ! » ومن ذلك اليوم كان هتلر سيد ألمانيا ، التي تعمل للسيادة على أوروبا ، وكانت لا تزال هناك بقية من قضية حريق الريشستاغ . فإن المحاكمة التي عقدت في لينز قد فشلت في الكشف عن حقائق الدعوى ، بل ولا تزال حقيقة الأمر حتى اليوم مجهولة تماما .

وكان على رأس قائمة الاتهام رجل بلغاري أثبت أنه كان في مونيخ عند ما حدث الحريق ، ولكن فردا لم يصدقه ، أو يقبل مناقشة الأدلة التي قدمها ، كان اسم هذا الرجل جورج ديمتروف . وقد صاح ديمتروف : « تريدون محاكمة سياسية ! والله إنكم لو اصلون إلى هذا ! . . . وليكن ما تريدون . . . » .

وكان هذا آخر صوت حر سمعته أوروبا يخرج من قلب ألمانيا لمدة ستة أعوام متوالية . . .

صلاً لوطانو



هل هو سلم حقيقى

مستر أوستين تشيمبرلين يوقع معاهدة لوكارنو مع مستر بلدوين إلى يمينه
رقم ١ فى الصورة مسيو بريان رقم ٢ الھرستريسان . . .

الرجل الذي كان يستطيع إيقاف هتلر

وفي هذه الأيام المضطربة التي عرفها عام ١٩٣٣ كان هناك سياسي واحد فقط في العالم كله يعرف أن هذه القفزة النازية ستدمر كل بناء أوروبا ، وأعد هذا الرجل قبضته للضرب ...

كان هذا الرجل هو المستشار ديلفوس النمساوي

وكان هتلر قبيل حريق الريشستاغ بأيام ، قد قال بأن الممر البولندي يجب أن يرد إلى ألمانيا ، وفي اليوم السادس للحريق طار هتلر عبر بولنده إلى بروسيا الشرقية ، وكان الخوف كل الخوف أن يطلق قياد نازي داتزج جثاة ، فيمسكون بمخازن الذخيرة البولندية الموجودة في الميناء .

وأعد جوزيف بيلسوديسكي ديكتاتور بولنده عدته ليضرب قبل أن يضرب ، وفي الحادي والعشرين من أبريل قام خمسة وثلاثون ألف جندي تصحبهم الدبابات والطائرات والمدفعية بعرض كبير في طرقات فيلنا ، وقد استدعى وزير بولنده المفوض في برلين إلى ويلهلمستراس وسئل : « هل يعني هذا الحرب أم السلم ؟ » ، وفي وارسو نفسها كان وزير فرنسا المفوض يتصل تليفونيا بباريس ليسألها : « هل إذا خطا بيلسوديسكي تخطو فرنسا معه أو تتركه وحده ؟ » وعند ما قالت باريس : « لا ! » تنفس هتلر الصعداء إلى حين ...

وفي هذه اللحظة الحاسمة ، وصل بيلسوديسكي إلى الاعتقاد بأن بولنده إذا لم تكن لتستطيع الوقوف من ألمانيا موقف العداء المكشوف ، فإن الأصلح لها أن تتخذ منها صديقة لها ... ، وهكذا بعد عام واحد من اتفاقية كيلوج ، وقعت ألمانيا وبولنده معاهدة عدم اعتداء

وضع هباء ذلك العمل الذى بذلت فيه فرنسا عدة أعوام لمحاولة إيجاد حليف قوى فى شرق ألمانيا لمناصرتها . . . وهكذا تفتت الركن الأساسى للحلف المنشود ، أمام أول جولة للنازى .

* * *

وكان وسط أوروبا بنفسه غير هادىء ، بل كان أبعد من أن يقال عنه أنه مستقر . كانت الليلة ليلة الحادى عشر من فبراير عام ١٩٣٤ . . . وكان المكان ركنا هادئاً من أركان فينا الهادئة . . . وعلى ضوء المصباح الخافت كانت تبدو على وجوه المجتمعين علامات الاهتمام والجد ، وضرب الرجل الذى يتصدر المكان المنضدة بقبضة يده ، ثم وقف من مقعده وهو يقول : « سادتى ! مادام المستشار ديلفوس معنا فعدا يمكن أن نبدأ العمل . . . » وكانت هذه الكلمات إيذاناً بالانصراف . . . ولو أمكن التحديق فى الوجوه لأمكن التعرف على الرجل الذى يتصدر الجمع ، فقد كان هو الميجر فای زعيم التنظيمات العسكرية الفاشية فى فينا ، بل لأمكن معرفة بعض كبار الرجال فى تلك التشكيلات التى قامت على غرار تنظيمات الفاشيست الإيطالية .

وجاء الصباح التالى وكان شديد البرودة ، تغطى سماءه سحب كثيفة ، ولكن مع هذا كانت المدينة القديمة قد استيقظت وبدأت الحركة تدب فى أرجائها ، وفى العاشرة والنصف قيل للمستشار ديلفوس أن بعض الناس يطلبونه فى التليفون ؛ وكان هؤلاء بعض قادة الحزب الاشتراكى الديمقراطى فى فينا الذين كانوا يلحون فى مقابلة المستشار لمسألة هامة ، ولكن الرجل اعتذر فهو لا يستطيع البقاء لانتظارهم ، فقد كان حتماً عليه أن يسرع إلى كتدرائية سانت ستيفين لحضور صلاة جامعة تقام لذكرى تولى البابا عرشه .

وبعد الساعة الثانية عشرة بقليل توقفت بعض قطرات الترام الكهربائية فى وسط المدينة ، فى أكثر النقط تزاماً ، هجرها عمالها بلاسبب ، وانصرفوا عنها بعد أن حملوا الأدوات التى يمكن بها إدارتها . . . ، وأعلنت الحكومة أن هذا العمل إشارة للاضراب العام . . . فلم يكذب محل المساء حتى أعلنت الأحكام العرفية وبدأ الميجر فای ورجاله العمل بسرعة بمعاونة البوليس والجيش .

وبقيت مدافع الميدان ثلاثة أيام متوالية تطلق قنابلها على أحياء العمال ، وشقت
ثغرات فسيحة في الجدران ، واقتحمت جنود الجيش أبواب الدور ، وفي اليوم الثالث
كان جزء كبير من فينا قد خرب ، وكانت الطرقات مليئة بالأتقاض من الأحجار
والزجاج وجثث القتلى والجرحى . . . ، وفي وسط هذا كله كانت الدماء تغطي
كل شيء . . .

وكان التخريب عنيفا مؤلما . . . فقد دمر نصف مباني فيينا وقتل نصف الرجال
الذين يمكن أن يدافعوا عنها . . . والغريب أن الرجل الذي أمر به ، كان هو الدكتور
انجيلبرت ديلفوس مستشار النمسا ، الرجل الذي يدافع عن استقلالها ، ولكنه لم يجد
مفرا من هذا . . . أنه كان ينظر إلى الأمر من أدق نواحيه . . . على أن الأمر بمذبحة
الحزب الاشتراكي الديمقراطي لم يصدر إلا من روما . . . إذ كان ديلفوس مضطرا
إلى أن يستند على عضد قوى ، وظلت القطارات عدة أشهر تمر عابرة الحدود
مثقلة بالأسلحة والذخائر . . . ، وفي أعقاب هذا كله كانت الدعاية له تمر عبر الحدود
إلى ألمانيا نفسها . . . ثم استطاع موسوليني أن يحصل على تصريح مشترك من بريطانيا
وفرنسا وإيطاليا (بضرورة الاحتفاظ باستقلال النمسا .) وقامر ديلفوس بالاتحاد
الداخلي ، بأمل المعاونة التي تجيء من الخارج ، وبعد أسابيع قليلة التقى الديكتاتوران
هتلر وموسوليني في البندقية وقد وقف كل منهما يحدق في الآخر مليا ثوان قليلة
ثم تصافحا . وواعد أولهما بأن يوقف أعمال الإرهاب التي يقوم بها نازيو النمسا . . .
وصدقه الثاني !!

ثم افترقا . . . وظن الذين أحاطوا بهما عند اللقاء أنهما صادقان ، ولكن بعد
أربعين يوما فقط من هذا اللقاء التاريخي ، وبينما كان ديلفوس جالسا وحده في
مكتبه بقصر بالهوز بلاتز ، إذفتح الباب فجأة على مصراعيه ، ودخل الغرفة الفسيحة
نفر من الإرهابيين النازيين . . . وعلا صوت الطلقات النارية ، فسقط الرجل مضرجا
بدمائه . . . ثم لم يلبث أن لفظ نفسه الأخير ..

وفي اليوم التالي وقف الديكتاتوران يحدقان في بعضهما البعض حول جثة
ديلفوس . كانت القوات الإيطالية تسير مسرعة إلى ممر برنز وكتبت (الميساجيرو)
تقول في افتتاحيتها : « والواقع أنه لا يمكن الاطمئنان دائما إلى وعود الحكومة

الألمانية . ونحن لا نستطيع أن نتفاوض مع أناس يفشلون في احترام قوانين الشرف . أن أية دولة في العالم اليوم تملك الحق كله في حرية مطلقة للعمل ضد ألمانيا ... »

كانت إجابة برلين على هذا التهديد الصريح للحرب بصمت بليغ . وكان قد أذيع في مساء يوم الحادث من محطة الإذاعة بموينخ حديثا عن ثورة الأهالي الألمان في النمسا . ولكن الرجل الذي اعتبر مسئولاً عن هذا فصل عن عمله ... وكانت النمسا في الحقيقة - إحدى أعمدة الدفاع عن فرنسا - تهتز كريحشة في مهب الريح .. ولكن الذي أنقدها في تلك اللحظة الرهيبة ، لم يكن فرنسا ، بل كان ذلك الديكتاتور الآخر الذي يقف جنوب محر بريتر .

ثم مرت أيام تعد في حساب الناس بالشهور ولكنها في حساب الزمن والتاريخ لا شيء ...

وفي ليلة التاسع من يناير عام ١٩٣٥ رجع بيير لافال إلى باريس منتصرا . كان كعادته قائم الوجه مزمووم الشفتين ولولا رباط عنقه الأبيض لضاعت معالم وجهه وجسمه في ذلك الثوب الأسود الذي كان يرتديه دائما ، ولكن هذا كله لم يكن يدل على الموهبة التي ارتفعت به من « صبي جزار » إلى رئيس وزراء لفرنسا . كان أبدا من روما بعد أن قابل موسوليني ... فقد ذهب للقاءه بفكرة أن الصداقة التي تربطه بإيطاليا ، يمكن أن تطيل عمر الحلف الذي كونه الساسة الفرنسيون قبله في شرق أوروبا . وحصل لافال على ما يطلبه ثمنا لقطعة من الأرض في الصومال الفرنسي ، أعطيت لإيطاليا ... قطعة مقفرة من الأرض ولكنها كانت في رأى موسوليني خيرا من لا شيء ، لاسيما وقد قال عن نفسه في موضع المباهاة أنه هاوى جمع الصحروات على مثال هواة جمع التحف !! وقد تشاور الرجلان في أمر النمسا ، واتفقا على الوقوف في وجه الألمان ، ولكنهما في الواقع تفاهما أيضا على امبراطورية موسوليني الرومانية ، فعند ما ذكر بعض الناس لافال بأن الحبشة من أعضاء عصبة الأمم صاح : « يا الهى !! هل هي حقا في العصبة ؟ ؟ .. » فكانت فكاهة الجليل ...

واعتبر الناس لافال منتصرا ، وقبول في باريس بالترحاب ، وعند ما أعلنت ألمانيا التجنيد في مارس كان في استطاعة لافال أن يجلس مطمئنا في اجتماع أنصار العصبة في ستريسا ، وكان هذا الاجتماع مشهود ، فعند ما ترك ضيوف موسوليني المنضدة عزفت الموسيقى النشيد الوطني الانجليزي « حفظ الله الملك » ثم أعقبته « بالمارسيليز » وأعلن مستر ماكدونالد أن الدول الثلاث قد أعلنت اتحادها التام في كل شيء ...

وعند ما سأله أحد الصحفيين : « هل بحثت موضوع الحبشة مع موسوليني ؟ » أجاب ماكدونالد بهدوء طبيعي : « إن سؤالك يا صديقي غير واضح !! .. »

وبعد ثمانية أشهر أخرى كانت الدنيا التي يحلم بها لافال قد تبددت في الهواء ، كان امبراطور الحبشة قد أمطر عصبة الأمم ومابلا من قنابل الاحتجاج الصارخ ، وراح الشعب البريطاني يطلب فرض العقوبات التي نص عليها عهد عصبة جنيف على إيطاليا ، ومسحت الحكومة الإنجليزية شيئا من الماضي بتوقيع معاهدة بحرية مع ألمانيا .. ، واجتاح فرنسا شعور عدائي لبريطانيا بات فرنسا أمامه مرغمة على أن تتخير بين إيطاليا وبريطانيا ، فكانت أكبر مشكلة واجهت فرنسا ، لا في القرن العشرين وحده ، بل ومنذ أيام بوناپرت . . .

وكانت الأيام تخبئ ما هو أسوأ من هذا ، فقد اعتلى السير صمويل هور منصة مجلس العصبة في جنيف ، ليعلن أن بريطانيا إيمنة على عهدها مخصصة لمبدأ « المقاومة الاجتماعية لأي إعتداء » ، وبدأ مستر بلدوين الكفاح للانتخابات بذات الفكرة ، ولكن موسوليني أصم أذنيه ، وتابعت جيوشه زحفها ، فكانت أصعب أيام تواجه فرنسا . وكان على مسيو لافال أن يسير بخطى متمهلة ، وحاول في مفاوضات سرية مع السير صمويل هور أن ينقذ حليفته في الجانب الآخر من الألب ، ونقلت كلماته إلى لندن وفي الساعة الرابعة والعشرين كان سعيدا عند ما علم بأن آراءه كسبت له موافقة قلبية من مستر بلدوين .

وبعد أربعة عشر يوما ثار الرأي العام الانجليزي فاقطلع السير صمويل هور من مقعده ... وكانت العاصفة شديدة طوحت بجميع الأفراد الذين كانوا في طريقها ، إلا مستر بلدوين فقد وقف كالصخرة لا يلين ووقف مغلقا شفثيه لا ينطق للإجابة

على سبيل الأسئلة التي توجه إليه ، ولكنه في الواقع كان قد نفّض يديه من السياسة التي وافق عليها قلبيا .

وعند ما بدأ مستر بلدوين يضرب ضرباته بسرعة ، استعاد هتلر حرية التسليح ، وأعد موسوليني العدة لحرب جريئة في الربيع ، تاركا لافال وحيدا يحاول إنقاذ بقايا سياسته المتداعية .

ويجب أن نتوقف هنا قليلا لنتحدث عن قصة غريبة هي مقتل « هوى لونيغ » وهي قصة لا مكان لها في مأساة أوروبا ، فقد حدثت في لويزيانا أبعد ولاية في الولايات المتحدة للجنوب ...

ولكن هوى لونيغ كان له نصيب في المأساة المجهولة التي تجمع تاريخ العالم ، فقد كان ديكتاتورا صغيرا في هذه الولاية ، كأن أمريكا كان مفروضا عليها أن يكون لها هي الأخرى هتلر آخر ! ! فقد جاء هوى إلى مقعد الحاكم هابطا من أفق البؤس والفاقة ، في أعقاب الثورة المالية التي اجتاحت كل شيء ، فنفض يديه من أساليب الحكم الديمقراطي ليهدم الرأسمالية ، وكان مبدؤه أن كل رجل ملك في نفسه ، فوعد الناس بالرخاء على أن يكون لكل فرد منزل وسيارة وجهاز للراديو ثم عشر جنهات في الأسبوع ، وكان محاميا لبقا توفرت فيه كل عوامل الجراءة والمقدرة على القيادة .

وبنى هوى المدارس والمستشفيات وشق الطرق ، وحل الأحزاب السياسية ، وحارب الصحافة ، وجمعيات أصحاب الأعمال ، ورفع الأجور ثم سحق كل أولئك الذين عارضوه ، وترك الأسلاب غنيمة لأنصاره .

وفي ليلة الثامن من سبتمبر عام ١٩٣٥ ترك شاب في مقتبل العمر هو الدكتور كارل أوستن ويس منزله بعد أن أخبر زوجته أنه ذاهب لعيادة مريض ، ولكنه كان في الحقيقة ذاهبا ليرتكب جناية قتل .

وتذكر الدكتور ويس قصة شقيقة له ... ثم شقيق آخر ، كانا قد فقدا حياتهما في إحدى حملات هوى الارهابية ، فلم يكذب يصل إلى الكابيتول حتى توقف عن السير ... كان هوى لونيغ يقترب في حراسة ثلاثة من رجاله ، بعد أن وقع بعض

أوراق لمشروع جديد للضرائب ، وعند ما وصل إلى الباب التفت إلى الرجال الثلاثة ليقرئهم السلام وليذكركم بالعودة إليه في الغد .. ، وخرج الدكتور الشاب من وراء الأعمدة ثم أطلق عليه الرصاص ، وسقط القاتل مصابا بإحدى وستين رصاصة ، أطلقتها عليه رجال هوى ، فمات لساعته ، وأخذ هوى يردد أنفاسه الأخيرة متمهلا . وبقى الديكتاتور الصغير إحدى وثلاثين ساعة على كتاب كفاحه ، الذي كان عدته للوصول إلى «البيت الأبيض» ، وتكته لوزير يانا ، وبقى برنامجا حيا بعد وفاته ، وكان لهذا الرجل تأثيره السحري إلى درجة أن شقيقه اختير بعد أربعة أعوام من وفاته ليكون حاكما للولاية ، ولقد كان هوى برغم كل شيء عظيما ، ولا شك أن أمريكا هي بلد الذين يعملون في إخلاص من أجل الجماهير . . . ولكن كانت عظمة هوى في أنه جاء في مقدمة هؤلاء الناس . . .

وفي الأيام العشرة الأولى من ربيع عام ١٩٣٦ اقتربت أوروبا مرة أخرى من الحرب ، فبعد ظهر الثامن والعشرين من فبراير احتلت القوات الإيطالية جبل امبا آلاجي ، وفي نفس الليلة جدد في باريس حلف فرنسي — روسي . كان هتلر في مكان المراقبة ، وكان لا يعرف ماذا يمكن أن يجيء به الغد ، ولهذا كان واجبه أن يعمل بسرعة ، استدعى رئيس أركان حربه بلومبرج ، ولكن بلومبرج قال : . . . لا ! . . . ، وطلب هتلر اجتماع مجلس الريشستاغ بعد ظهر يوم السبت ، ولكن بلومبرج ظل كما هو ، يقول : . . . لا ! . . . ، ولكن في تلك الليلة ، عند ما اجتمع هتلر وجورنج وآخرين ، وضع القرار الحاسم ، وشربوا نخب المخاطرة التي سيقدمون عليها .

وعند ما وقف هتلر في ظهر اليوم التالي يتحدث كان مضمرا الوجه عصبي المزاج ، وحمل هتلر على لوكارنو وهاجم الحلف الروسي الفرنسي ثم قدم يده بنخطة لسلم أمده خمسة وعشرين عاما ، ثم تهدج صوته وهو يقول «وفي هذه الساعة الرهيبة التاريخية تحتل القوات الألمانية في الولايات الغربية معسكراتها لوقت السلم المقبل . —

وعلت ضجة في مجلس الريشستاغ ضاع وسطها صوت هتلر فلم تسمع أوروبا شيئا في المدياع ، كان ثلاثون ألف جندي ألماني يسرون في أراضي الرين غير المسلحة والتي كان لزاما أن تظل كذلك كنص معاهدة فرساي ، وسمعت باريس الأنباء فتصيح الناس « إلى الحرب ! . . إلى التعبئة ! » .

واجتمع مجلس الوزراء الفرنسي في الحال ، وجاء قادة الجيش إلى مكان انعقاد المجلس ، ووافق الكثيرون على إعلان التعبئة ، ولكن كان معنى التعبئة إما أن تعود ألمانيا أدراجها وإما الحرب .

كانت بولنده على أتم أهبة للسير إلى الشرق ولكم ماذا يمكن أن تقول بريطانيا ؟ . . . ثم ماذا يقولون أيضا عن إشاعة إعداد جورج لالفي طائرة متأهبة لتطير فوق باريس ؟ وبعد دقائق حرجة قرر مجلس الوزراء الفرنسي تقوية حرس الحدود ، ورفع الأمر إلى عصبة الأمم ! !

وتخلصت فرنسا بسرعة من أكبر هزيمة لحقت بها منذ أيام فرساي ، فلم يأتيها اجتماع مجلس العصبة في لندن بشيء ، وهكذا أضاعت فرنسا الفرصة . . . واستطاعت ألمانيا أن تضع وراء الباب مزلاجاً من حديد . . .

وقال جوبلز الذي يعرف حقيقة النصر الذي حصلت عليه ألمانيا : « لقد مرت علينا ليال طويلة دون أن نغمض أعيننا » .

وعند ما وقف هتلر ليتحدث للجماهير قال : « ليست لنا أي مطالب إقليمية أخرى في أوروبا . . . » ولكنه كان يعلم علم اليقين ماذا يمكن أن يطلب في الأيام المقبلة .

أوروبا تفكك

ولكن كان هناك شيئا لم تنسه فرنسا ولا يجوز أن نغفله نحن بدورنا ... ، ذلك هو صداقتها بحكومة روما ففي يناير عام ١٩٣٥ كانت اتفاقية روما بين الدولتين تبشر بأن لها الثمار التي يمكن أن تجني في الغد ، وفي يوليو زار الجنرال جاملان رئيس هيئة أركان الحرب الفرنسية زميله الإيطالي الجنرال بودوليو ، وفي سبتمبر من نفس العام رد بودوليو الزيارة بأحسن منها ... وبدا أن الاتفاق تام وأصبح في استطاعة فرنسا أن تترك الحدود المشتركة بينها وبين إيطاليا غير محروسة ، كي تحشد كل قواتها لمواجهة الألمان في الشمال الشرقي ، وكانت إيطاليا قد فعلت هذا مرة من قبل في بداية الحرب العالمية الأولى وبذلك تمكنت فرنسا من نقل الجنرال فوش وفي صحبته ثلاثة فيالق من حدود إيطاليا وألقت بهذه القوة الجديدة للشمال ، فكان أن تقرر مستقبل أوروبا كله في موقعة المارن الأولى .

ثم وقفت إيطاليا أيضا إلى جانب فرنسا في التطاحن السياسي ه فقد كان الألمان يرون أن الحلف الفرنسي — الروسي ينقض عهد لوكارنو ... ووجهت ألمانيا في الخامس والعشرين من مايو مذكرة إلى كل من بريطانيا وإيطاليا بهذا ، ولكن في الخامس عشر من يوليو بعثت إيطاليا بردها : « إن الحكومة الإيطالية تتشرف بأن تخطر الحكومة الألمانية أنها ترى إلى غاية ما يعنيه الأمر — بأن الحلف الفرنسي الروسي يتفق تماما مع عهد لوكارنو ... »

وآن لإيطاليا أن تحصل على شيء في مقابل هذا ...

ففي خريف عام ١٩٣٥ أقامت الحملة الإيطالية الموجهة ضد الحبشة الدنيا بأكملها ، وكان أول أثر لها تمزيق علاقات الود التي كانت بين بريطانيا وإيطاليا ... وكان الناس يظنون أن إيطاليا ذات الشواطئ المفتوحة لن تحتل مدفعية الأسطول البريطاني الذي يمحّر عباب البحر على قيد خطوات من سواحل إيطاليا ... وكانوا يشبهونها بجندى المرور الذي يحاول إيقاف الحركة بذراعه ، وذراعه أضعف

ما فيه !! ... ولكن غاب عن هؤلاء أن الخمسة عشر عاما التي مرت منذ فرساي ،
قد صحبتها ثورة واسعة المدى في صور الحرب إذ أصبحت الطائرة سلاحا حاسماً ، ولم
تعد إيطاليا عرضاً معرضاً لمدافع الأسطول ... بل قاعدة تثب منها الطائرات لمهاجمة
الأسطول البريطاني والموانئ القريبة ، وبذلك لم تعد إيطاليا هي الغرض المعرض ، بل
بات البحر الأبيض — طريق بريطانيا إلى الهند والشرق الأوسط — هو الغرض
المكشوف للطائرات الإيطالية .

كان الأسطول الإنجليزي قويا ، وبريطانيا أقوى ولا شك في السفن والرجال
والمال ..، ولكن كانت إيطاليا الفاشية قوية في أسطولها الجوي المليء بالطائرات
نعم إنها كانت طائرات رخيصة الثمن ، ولكنها كسلاح للضرب تعتبر شديدة
الايذاء ، لا سيما إذا قدرنا أنه لم يكن لدى الأسطول البريطاني كفايته من
طائرات الوقاية الجوية ... وأن أية معركة تصادمية ستكون مخاطرة لا قبل لبريطانيا
باحتمالها ...

ويبدو أن أولئك المسؤولين عن سياسة بريطانيا كانوا لا يتقدرون هذه الحقيقة
ولذلك ساءوا وراء ظهورهم أصلح الطرق للانسحاب ..، ومن ثم اندفعوا مرغمين
نحو هزيمة سياسية ، وسط الفيضان الذي جاءهم عن طريق أبواب السد المائي ...
الأبواب التي فتحوها بأيديهم ...

وجاء امتوني ايدين بعد ذهاب هور ، فحاول أن يعي قوى العالم كلها ضد إيطاليا،
ولذلك قبل أن تتولى بريطانيا الدفاع عن حدود فرنسا ، ولكن لا قال — الذي كان
في نشوة تفاهمه مع روما ، وقلقه من الاتفاقية البحرية بين ألمانيا وبريطانيا — رفض
هذه المنحة !!؛ لأنه كان واثقا كل الثقة من أن بريطانيا ستدافع عن فرنسا في حالة
اعتداء ألمانيا على أراضيها الشرقية سواء أسار في ركاب ايدين أو توقف عن السير ،
وما دام يثق بهذا فلماذا إذن يجازف فيسحب يده من يد عاهل روما ؟ !.

ومر شهران كانت الحرب الإيطالية الحبشية قد بدأت في خلالها ، وفي الحادي
والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٣٥ زار فرانسوا بونسيه سفير فرنسا في برلين المهرهتلر
مؤكداً أن فرنسا لا تريد الاحداق بألمانيا ولا أن تعزل ألمانيا عن العالم ، وأكد
له أن الحلف الفرنسي الروسي جزءاً من الوقاية التي فرضتها لوكارنو ، ودعا ألمانيا إلى

الانضمام إلى هذا الحلف ... ولكن هتلر أغمض عينيه ، وأجاب بأن سلام أوروبا يمكن أن يقرر باتفاق بريطانيا وفرنسا وألمانيا ، وهو لهذا لا يرى فائدة في معاهدات أخرى تعقدها الدول الباقية ، ولم ينس هتلر أن يذكر بأن إيطاليا لن تتحمل العقوبات التي تريد العصبة توقيعها ، وأن هذه العقوبات ستسبب خسارة إيطاليا للحرب ، وكنتيجة لهذا فسيذهب موسوليني مع الهواء وستسقط الفاشية ، ولن يكون من صدى لهذا إلا أن تجيء الشيوعية إلى إيطاليا ...

وكان الحديث بلا نتيجة ...

وفي نهاية عام ١٩٣٥ سقطت وزارة لافال ، وجاءت الحكومة الجديدة وفيها بيير آتين فلاندين وزيراً للخارجية ... وكان أمام الحكومة الجديدة أن تقدم الحلف الفرنسي — الروسي لمجلس النواب ؛ كما كان عليها أن تكمل محاولات لافال لاقتياد بريطانيا إلى جانب فرنسا في صورة أقوى مما هي عليه ... كانت السياسة الجديدة في البودقة ولكن كانت كل العلام تدل على أنها لن تنضج .

ففي الثامن والعشرين من فبراير عام ١٩٣٦ وافق مجلس النواب الفرنسي على الحلف الفرنسي — الروسي بأغلبية ٣٥٣ صوتاً ضد ١٦٤ صوتاً ، وتغيب ٢٢ عضواً عن الجلسة وتوقف ٤٧ نائباً عن إعطاء أصواتهم ، وحتى أن الكثيرين ممن أعطوا أصواتهم للحلف كانوا غير ميالين به ... وكانت الجلسة صاحبة في صورة من الفوضى لم يعرفها مجلس النواب الفرنسي من قبل ...

ولاشك أن هتلر نفسه قد تساءل : هل يمكن أن تكون لمعاهدة قوبلت بمثل هذا التردد والجمود أية قيمة ؟ !!

على أن هذه المعاهدة من الجانب الفرنسي كانت لا تزيد عن تجديد للمعاهدات القديمة ، هذه المعاهدات التي يمكن أن يقال إن معاهدة لوكارنو كانت أهمها وأكبرها قيمة ، ولكن حكومة سارو فلانداين كانت تحاول إعادة الاتصال ببريطانيا ولو أدى هذا إلى إغضاب إيطاليا ... ولكن هذا التبديل في السياسة الفرنسية جاء متأخراً ، فهو وإن وصل إلى نتائج فسيترك بدون شك ثغرة في الاتفاقات التي تضعها فرنسا لوقاية حدودها .

ولكن كانت لا تزال هناك دعامة قوية هي « لوكارنو » .

والفكرة في « لوكارنو » إنها ترغم ألمانيا على ترك حوض الرين غير مسلح ، فلا تقيم فيه تحصينات ولا تستخدمه إطلاقاً لأغراض حربية ، ولا تكون لها فيه قوات عسكرية على الضفة اليسرى للنهر ولا على منطقة محددة في الجانب الأيمن ، بل كان لفرنسا — عند الحاجة — أن تحتل بجيشها تلك المنطقة الألمانية المزدحمة بالسكان ، وقد ترك لها هذا الحق طليقاً إلى درجة أنها كانت تستطيع أن تفعل ذلك حتى قبل أن تعبر القوات الألمانية معابر الرين الضيقة ، وأرض الرين تفتح الطريق أمام فرنسا للتقدم نحو حلفائها في الشرق كما أن احتلالها لتلك الأرض يحرم ألمانيا من المناجم التي تزيد من مجهودها الحربي ولا شك ، ولهذا كانت فرنسا محقة في اعتقادها أن بقاء أرض الرين غير مسلحة هي الحقيقة العسكرية الوحيدة في كل معاهدات الأمن والسلامة التي تعقدها .

ولكن هذا السلاح كان يقوم على أساس معاهدة لوكارنو ، وهذه المعاهدة تضمنها كل من بريطانيا وإيطاليا اللتين أصبحتا عدوتين لدودتين ، بعد تهاقم مسألة الحبشة ، ورغم رغبة الدول الملحة في إخفاء هذه العداوة فقد بقيت نار البغضاء ساطعة لاتعيب عن عيني هتلر .

فبدأ يعمل للتفاهم مع موسوليني ، وديكتاتور إيطاليا لا يعنيه الرين ولا تهمة لوكارنو ، فكل ما يشغله هو الحبشة والبحر الأبيض المتوسط ... وهذه الحرب القائمة في أفريقيا تستنزف دماءه ... ، وانتهى هتلر إلى شيء ، فأمر صحافته بأن تهاجم الحلف الفرنسي — الروسي الذي أقره من قبل في مذكرات سياسية تبادلها سفراءه مع الدول التي يمثلونه فيها .

وبذلك لم يعد أمام هتلر شيئاً آخر ليفكر فيه غير بريطانيا ، الشريكة الثالثة في لوكارنو ، ولكن بريطانيا كانت مشغولة عنه بالحرب في شرق أفريقيا ، وكان إيدن قد شد رحاله إلى جنيف حيث لقي فلانداين وظل معه يومين متتاليين (٣ و ٢ مارس ١٩٣٦) يتحدث إليه فيها عن مسألة حرمان إيطاليا من الوقود لمدرعاتها وسفنها وأسلحتها ، وفلانداين يستمع إليه بصبر عجيب ، ولا يحير جواباً شافياً .

وطلب فلانداين من إيدن ، في مقابل حرمان إيطاليا من الوقود ، أن يعقد بين

فرنسا وبريطانيا اتفاقية عسكرية ليصبحها تفاهم بين هيئتي أركان الحرب في الدولتين فلم يقل إيدن لا . . . وهو أيضا لم يقل نعم . . .

وبذلك فقدت فرنسا حماية حدودها الجنوبية الشرقية ، ولم تصل إلى معاونة بريطانيا . . . فوجدت ثغرة وقتية في دفاعات فرنسا السياسية ، وعرف هتلر في الرابع من مارس بما طلبه فلا نداين من إيدن ، وعرف أيضا أن موافقة فرنسا على حرمان إيطاليا من الوقود معناها انتهاء المعاهدة الإيطالية الفرنسية . . . وإلى أبعد من هذا معناها انتهاء ضمان إيطاليا للوکارنو .

ولكن كان هنالك مشكل واحد لا يزال غامضا ومجهولا . . . ، وكان الأيام كانت تسرع الخطى جاهدة لتوضح لهتلر ما كان غامضا مجهولا له .

فعاد إيدن إلى لندن من غده ، وفي العاشر من مارس عند ما عاد إلى جنيف لم تكن الوزارة البريطانية قد وصلت إلى قرار كامل في مسألة الاتفاقية العسكرية مع فرنسا ، ولكن هذه الأيام الخمسة هي كل الفرصة التي كان يطليها هتلر ليعمل . . .

وهكذا عند ما وقف هتلر في الريشتاغ ليقول : « في هذه الساعة التاريخية والقوات الألمانية في الولايات الغربية تحتل محطات السلم للأيام المقبلة . . . » علت ضجة عالية في مجلس الريشتاغ ، ضجة لا يمكن أن توجد كلمة واحدة لوصفها .. فقد بقيت المهمات مستمرة لعدة دقائق ، فلم يسمع الناس في المديع ماذا قال هتلر . . . هتلر الذي كان يثق أن فرنسا لن تتقدم ولن تعلن الحرب .

ولكن ما كان هتلر قد أرسله لاحتلال الرين لم يكن جيشا ، كان كل ما أرسله إلى الرين تسع عشرة كتيبة من المشاة وثلاث عشرة بطارية من المدفعية ، بل وحتى هذه كانت تحتاج إلى عدة أيام لتستكمل حاجتها من الغذاء والوقود . . . ، وفي اللحظة التي قال فيها هتلر جملته التي أثارت الضجة كانت كتيبتان فقط تسيران فوق الموزيل إلى تريير وساربروكن .

وساد العالم كله صمت عجيب . . . وبقى هتلر وجورنج وجوبلز ليلتين كاملتين لا يغمض لهم جفن . . . ، كانت إيطاليا قد رفضت يديها من لوکارنو . . . ، وكانت بريطانيا مشغولة عن أي حلف مع فرنسا أو مع غيرها ، بل كان كل أولئك الذين وقعوا لوکارنو في شغل شاغل عن أرض الرين . . .

فهل تستطيع فرنسا أن تعمل وحدها ؟؟ .

وكان هذا هو السؤال الوحيد الذى ألقاه مسيو ألبير ليران على الوزارة الفرنسية
عندما اجتمعت بدعوة منه ، وقد أجاب وزير الدفاع الفرنسى بأن جيش فرنسا
مستعد لحرب دفاعية وليس للهجوم على أحد ، وكانت نصيحة القادة الفرنسيين للوزراء
هى ذات النصيحة التى تلقاها هتلر من قاداته ... أى بعدم الحرب ...

ولكن هتلر ضرب بنصائح قاداته عرض الحائط ... أما الوزارة الفرنسية
فلم تفعل .

وكان الاقتراع فى الوزارة الفرنسية ضد الحرب .

وعمرت أسابيع فى احتجاجات ومفاوضات ... ، وأرسلت بريطانيا إلى حكومة
برلين تطلب إيضاحاً ولكن شيئاً لم يصلها فى قالب إجابة ...

وكان كل ما عملته فرنسا أن بدأت فى إنشاء تحصينات جديدة على حدودها
الشرقية ... ، وبدأ العمل بطيئاً ثم راح يتزايد مع الوقت .

وبعد عشرة أيام فقط بذت الحقيقة المروعة سافرة ... الحلف الفرنسى — الروسى

لا شىء ... والحلف مع تشيكوسلوفاكيا يفقد قوته ... والروابط مع بولندية

تتفتت ... والنمسا باتت فى عزلة ... والسلامة الاجماعية خرافة لا وجود لها ...

كانت قارة أوروبا قد تمزقت ...

وقد فعل هتلر هذا كله بكتيبتين من المشاة ...

دماء في أسبانيا

باراجوس . . . تالافيرا . . . توليدو . . .

كلمات

ثلاث تحمل كل منها معناها الذي تعرفه مدريد الحمراء . . . كانت العاصفة قد انتقلت إلى أقصى الطرف الجنوبي الغربي لأوروبا، إلى أمة لم تعرف الاستقرار على الرغم من وجودها على هامش الحرب وعلى هامش حوادثها، فواجهت حكومة مدريد الحمراء ثورة عنيفة على رأسها الجنرال فرانكو، رجل له تاريخ وماض . . . وكانت الثورة في هذه البلاد معناها الحرب الأهلية، والحرب التي يعرفها الأسبانيون هي حرب قبيلة اليد والبندقية في قتال تصادمي وسط الطرقات والأزقة، وبين طبقات الدور . . . وهم لا يعرفون شيئا من تكتيكات المعركة في القتال ضد الدبابات ومدافع الما كينة المصنوعة في تورين ودريسدن . استطاعت ثورة الاتحاديين الوطنيين والفاشيست الأسبان، أن تفاجيء حكومة مدريد على غير أهبة . فكان الثوار يملكون شيئا ويحتلون أرضا، قبل أن تعي الحكومة جندها . . .

كان ذلك في سبتمبر ١٩٣٦، وأقسم الجنرال فرانكو أن سيكون في مدريد في شهر أكتوبر، وقرر الجنرال مولا في زهو وخيلاء أنه سيحتسى قهوته في مقهى « بويرنا ديل مول » في قرابة الثاني عشر من أكتوبر . . . ولكن فردا لم يقدر التقلبات الجوية، وتوقف القادة ينتظرون مددا جديدا لمتابعة الهجوم، وجاء يوم ١٢ أكتوبر والجنرال مولا لا يزال على مسافة ثلاثين ميلا من مدريد، ومن كوب القهوة التي وعد باحتسائها فيها . وهي مسافة قطعها في شهر لافي ساعات ولا في أيام . ومع هذا ففي ذات اليوم اجتمع بعض الناس من أساطين حكومة مدريد عند مقهى « بويرنا ديل مول » ووضعوا منضدة في الطريق العام، ثم سكبوا القهوة في الكوب وتركوا إلى جانبها ورقة قد خط فيها بأحرف طويلة « محجوز للجنرال مولا ! »

وبعد أيام قليلة تخلى القتال « نافا لكارنيرو » ومع ذلك ظل أمام المهاجمين أكثر من عشرون ميلاً أخرى ليصلوا مدريد، وقالت باريس ولندن إن عاصمة الأسبان تعيش في قلق، ولكن الواقع أن المدينة كانت هادئة... هادئة بدرجة كبيرة، كان أهلها على أتم أهبة لقتال الشوارع، لتصيد المهاجمين من النوافذ بكل ما يمكن أن يقال عنه قتال المفاجأة، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن الدفاع ضد الأسلحة الحديثة، ولا داعى حتى (للضبط والربط) فإن حرب الشعب لا تتطلب هذا... وعلى أية حال فإن الحرب لا تزال بعيدة... وقصرت المسافة إلى عشرين ميلاً... ثم إلى خمسة عشر ميلاً... ومع هذا لا شيء... فالمسافة لا تزال بعيدة، والحرب لم تصل بعد إلى الأبواب.

وكانت أوروبا لا تزال تتحدث عن الدفاع المجيد في « الكازار » الذى استمر ثلاثة وستين يوماً، وأى روح قوية كانت هذه الحكومة العزلاء تستطيع أن تمد بها حفنة من الرجال، كونت منهم ميليشيا أهلية لاحتمال التجربة ضد قوات تعدها وتسليحها ألمانيا وإيطاليا!!

وفي يوم الجمعة الأخير من شهر أكتوبر سقطت ست قنابل في طرقات مدريد الرئيسية، فجرح ستون شخصاً وقتل ستة عشر، وأفادت مدريد من غفوتها، وعند ما بدأ سيل اللاجئين يقدون إلى المدينة والرجال يجرون دوابهم التى تحمل متاعهم وأطفالهم... هبط على المدينة فجر قائم لا حياة فيه... كان الجنود المراكشيون قد باتوا على مسافة من منتصف المدينة لا يزيد عن المسافة التى يقطعها راكب الترام بأجر لا يزيد عن القرشين، وشهدت مدريد وراء الأفق البعيد قبعة حرس فرانكو الأهلى ذات الأركان الثلاثة. وقيل للناس إن الجنرال مولا يمتطى جواداً أبيض اللون سيظل على ظهره حتى يصل إلى المنضدة التى وعد بأن يحتسى عندها قهوته

كان هذا فى يوم الأربعاء... ولم يكن يوم الخميس بأحسن حالاً... وفى السابعة والنصف مساءً تركت سيارة سوداء مبنى وزارة الحرب فى مدريد مندفعة فى طريق فالانسيا... كان فى السيارة لارجو كابليرو الاشتراكى رئيس وزراء أسبانيا... فكان هذا دليلاً على أن الحكومة قد هاجرت من مدريد.

وجاء اليوم التالي .. كان يوما باردا مكفهرًا ، وبدا كأن مدريد ستقاتل من وراء نوافذ الدور فقد كانت كلها مغلقة ، وإن كان في استطاعة من يمر بالطرقات أن يرقب وراءها وجوها تتحرك .

ثم جاء صباح السبت .. ودعى الناس للخروج إلى الطرقات والوقوف في الشرفات ، لم يدعهم أحد ... ولم تعلنهم الحكومة بهذا .. ولكنهم كانوا يسمعون صوت سير أقدام جنود مدرين فوق أرض الطرقات المرصوفة ، وكان الجنود يسرون بخطوات منتظمة في ثياب خاكية اللون ... وكان معهم ضباط ... ضباط من كل الرتب ... وكانوا جميعا يحملون البنادق وتجيء وراءهم السيارات الكبيرة تحمل الرشاشات الآلية والدخيرة ، وقد قوبل هؤلاء كلهم بترحاب ، بدا لأول وهلة في الأعين التي كانت تحديق في وجوههم مشدوهة من منظرهم الرائع ، ثم من القوة والعزيمة الواضحة في وجوههم ... ، ولكن لم يلبث الناس أن تناسوا كل شيء إلا الفرح ، فقد جاءتهم نجدة للدفاع عن عاصمتهم الجميلة ، فراح الناس يصفقون ويهتفون لهم ، وأدرك الناس أنهم قد نجوا في آخر لحظة من المهانة التي كانوا يتوقعونها بسقوط مدينتهم .

كان هؤلاء القادمون من جنود اللواء الدولي ، وقد جمعوا من المتطوعين ، وكلهم من أولئك الذين قاتلوا في حروب سابقة قديمة ... وجاء هؤلاء معهم بأسلحة روسية وذخائر مصنوعة في حوض الفولجا ومناطق الصناعة في الأورال !!

وفي اليوم التالي قام المراكشيون بالهجوم ... وبدا لهم من نطاق النيران التي ووجهوا بها أن قوة جديدة قد جاءت إلى ميدان القتال ، وكانت دبابات الجنرال مولا على أتم أهبة للقيام بغزو هين ميسور ، والدخول إلى المدينة دون عناء ، ولكن هذا لم يكن ميسورا كما ظن مولا ، فقد اصطدم هجومه بالصخر وقدمت مدافع الروس ومدافع اللواء الدولي للجمهورية الإسبانية جرعة جديدة من شراب يصلح لإطالة الحياة .

ووقفت مدريد صامتة ثلاثين شهرا أخرى ... وقدمت مدريد لتاريخ العالم اسما جديدا يمكن إضافته إلى الأسماء الخالدة مع الدهر والتي بدأت بماراتون ... ، وحتى في آخر لحظات مدريد كان لا يزال فيها من أبنائها من هم على أتم استعداد لتابعة القتال .

على أن جد مدريد كان قد قرر في جبهة الارجون وخارج برشلونة ، وباتهاء
المقاومة في مدريد ضاع كل شيء . . . وبسرعة أمكن احتلال جوينيكما — بلباو —
مالاجا — برشلونة ، كان ثقل الحديد والصلب هو الذي يقرر الأفضلية الحاسمة . . .
وطال الصراع الجدلي الدامي . . . ولكنه مع هذا جاء بالنهاية التي قررت انتصار
قوة الوطنين العسكرية على مقاومة جمهورية الاتحاديين الحمر .

وفي صباح الرابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٣٦ وقف رجلان في شرفة
منزل قروي يطل على جبال الألب البافارية ، وراح الرجلان يتحدثان عبر الحدود
الألمانية في أراضي النمسا المليئة بالغابات ، وقد بقي الرجلان مكانهما يتحدثان معا
وفي وحدة تامة لثلاث ساعات متوالية .

وفي تلك الليلة ترك الكونت شيانو وزير خارجية إيطاليا منزل مضيفه قاصدا
إلى مونيخ ، وهناك قابل وفدا من الصحفيين . . . وكان يحمل حديثه أن الفوهرر
يقدر غزو إيطاليا للحبشة ، كما تحدث عن أن ألمانيا وإيطاليا تودان بكل إخلاص
أن ينتصر فرانكو في أسبانيا . . . ولا يجب أن تسبب النمسا أية صعاب في الأمر . . .
كان شيانو لا يفكر في شيء . . . ! ! !

ونسى شيانو أن المهرتلىر والمهرشيشونينغ كانا قد وقعا منذ ثلاثة شهور فقط ،
اتفاقية نص فيها على الاعتراف باستقلال النمسا وتقدير ألمانيا لوجود هذا الاستقلال .
وهكذا ولد المحور . . . محور روما — برلين — طوكيو . . .

ولد على تفاهم تام على الاغتصاب . . . ! وعلى ماتقول مدام تيبو « السرقة
أو الحرب » ، وفي مدى عامين كانت جيوش دولتي المحور في أوروبا وحليقتيها تبعاً
وتجهز لإرهاب أوروبا كلها ونصف آسيا ، وفي أقل من عام كانت اليابان الشريكة
الثالثة تشق بالقنابل والرصاص طريقها إلى الصين ، ولكن كل هذا لم يكن شيئاً
مذكوراً . . . إذا أن كل شيء . . . يجب أن يبدأ بضربات المطرقة التي يقبض
عليها الألمان

وصاح هتلر وهو يجلس على مقعده . . . « قلت لك احضر شيشونيج للقائى
في بريخستان ، ثم اترك الباقي لى أنا ! . . . »
وأسرع الهرفون بابن إلى فينا ، والقلق يبدو واضحا فى عينيه ، فإن الفشل
فى مثل هذه المهمة يكافئه ثمنا غاليا .

كان عليه أن يجادل وأن يلح ويلحف ، فإن شيشونيج قلق والشك يملؤه ثم
هو بعد هذا عنيد . . . واتصل المستشار النمساوى تليفونيا بموسولينى ، وكان الرد
الذى حملته الأسلاك عبر الأب . . . « يا صديقى العزيز ! إن ثقتى كبيرة فى مواهبك
السياسية ! ! » وبدا من هذه الإجابة اللاذعة أن العضد الذى بقى أربعة أعوام يسند
ويدعم استقلال النمسا ، قد نفى يديه من الأمر ، فأخى شيشونيج رأسه فى إعياء
للعاصفة ، ووافق على أن يذهب إلى بريخستان على شرط أن لا يعلم أحد فى النمسا بهذا
السفر ، فأجيب طلبه ، وظل سفره مجهولا من جميع الناس إلى أن عرفه أحد
معاونى هتلر فى بريخستان صبيحة الثانى عشر من فبراير عام ١٩٣٨ .

كان كورت فون شيشونيج هادئا ، تحفظ له ثقافته العالية اتزانه ، وكان يجب
النمسا ، تلك النمسا الهادئة بسبب إبقاء نصف أهلها فى الأغلال ؛ ! ولذلك استطاع
أن يبقى توازن مقعده فوق الجواد ، فأبعد اشتراكي فينا وراء أسوأ المعتقلات ،
واشتبك أنصاره من الفاشيين فى قتال مستمر . . . وظل النازيون وحدهم يقبضون
على المفرقات التى تكفى لإشعال الثورة .

وبعد عشر ساعات ترك شيشونيج بريخستان ، بعد أن سمع هتلر يصبح
فى وجهه قاتلا . « شعبي فى النمسا ! ، » وكان قد قابل الجنرال قون ريتشينو قائد
جيش الاحتلال للنمسا ، فأطلعته على الخطط والخرائط التى أعدت لهذا الاحتلال . .
فلا خطورة من أن يعلن بخطة العمل الذى يواجهه لانه لا يملك قوة ، وهى خطة
تكفى لتمزيق النمسا إلى قطع . . .

وهكذا عاد شيشونيج إلى النمسا يحمل معه حكم الإعدام على بلده التى يحبها ،
ولكن فى صورة « إنذار » .

* * *

وكان هناك سبيل واحد للفكك من هذا كله ، هو أن يترك أمر وزارة الداخلية

في النمسا إلى رجل من رجال النازي ، وذكر هتلر اسم الدكتور سايس انكوارت وقد أكد هتلر أنه لا يعرف من الرجل غير اسمه ، وقد اعترض شيشونيغ في البداية ثم اضطر إلى الرضوخ . . . ووافق على أن ينفذ هذا الأمر وبقيت الوزارة النمساوية ثلاثة أيام تبحث كل أوجه الأمر . . . كانت القوات الألمانية تحتشد على الحدود ، ومع هذا لم يصل رد من روما ولم يتحرك موسوليني . . . وعلى أية حال فإن سايس انكوارت وإن كان من حزب النازي إلا أنه كأوليكي ثم هو ولاشك سيدافع عن استقلال النمسا . . . ثم إن شيشونيغ — يعرفه شخصيا فقد كانا طالبة معا في أيام الدراسة وإذن فلتتم إرادة الله .

وهكذا في الساعة الثانية من صباح يوم الأربعاء وصلت الأنباء إلى بريخستان أن الوزارة النمساوية قد قبلت جميع مطالب ألمانيا ، وفي الصباح التالي دعى سايس انكوارت ليقسم يمين الولاء للحكومة النمساوية ، وقد أقسمه ، ثم بعد ساعات قليلة سافر إلى برلين ليتسلم أوامر حكومتها ! !

وفي الأسابيع الثلاثة التالية كان للنمسا حاكم ، فنازيو سايس انكوارت يررعون الطرقات ومعهم قوة بوليس تكفي لإخضاع أي فرد يفكر في التمرد أو الخروج على مبادئ النازي ثم إن وراء الحدود قوات ألمانية وافرة العدد والعدد .

وفي الجانب الآخر يقف شيشونيغ . . . له حكومة بلا قوة بوليس ، ثم إن في الوزارة التي تحتكم بأمره من الخصوم ما يكهون لاقلاقه . . . أجل ! كانت تنقصه الجرأة ، وليكن ما قيمتها إذا فرضنا وجودها أمام القوات التي تستطيع أن تفعل كل شيء ! ؟

على أن الرغبة في الدفاع عن استقلال النمسا كانت قوية وسط الفلاحين في الريف وفي فينا نفسها قوة ممثلة في العمال ، ولكن زعماء هؤلاء العمال كانوا وراء جدران المطابق التي وضعهم فيها ديلفوس .

على أن الوقت كان متأخرا فقد مزق ديلفوس قوة النمسا بأمل الدفاع عن كيانها في يوم ما من أربع سنوات ، وقد استطاع أن يحتفظ باستقلال النمسا ولكنه استقلال يستند إلى حراب أجنبية ، وأربع سنوات فترة لا تكفي لإصلاح كل شيء . . .

وفي الأسابيع التالية بقيت كلمة « هايل شيشونيغ » تسمع في الطرقات ولكن
ماقيمة الكلام في دنيا المدفع والطائرة ! ! . . .

ففي يوم ٩ مارس ذهب البطل الجديد إلى انسبروك ووقف عشرون ألف نمسوي
خارج مكان الاجتماع يقسمون على الدفاع عن استقلال بلدهم ، وفي صوت جهورى
ملء بالجرأة ألقى شيشونيغ القنبلة قائلا : « إن النمسا يجب أن تعلن في تصويت عام
رغبتها في الاستقلال ليسمع العالم كله حقيقة الأمر ! » .

وبدا البشر على الوجوه في فينا ، ولكن كان هذا كله إلى حين ، كانت لحظة
رهيبة ، أعطت النازيين فرصة إسقاط المطرقة ، ففي يوم الجمعة هذا بينما كان
المهرفون ريبنتروب يتناول غداءه في داوننج ستريت ١٠ بلندن.. وبينما كان موسوليني
يتزلق على الجليد في الألب.. وبينما كانت باريس في غمرة مشكلة وزارية حادة، وبينما
كانت الروسيا آخذة في عمليات التطهير، وبينما كان باقى أوروبا كله يتلفت حوله ليعرف
ماذا يحدث إذسقطت المطرقة على النمسا بسرعة مخيفة ، ووصل فينا إنذاران شديدا للهجة
إن التصويت يجب أن يوقف . . .

وإن شيشونيغ يجب أن يذهب . . .

وفي السابعة من مساء ذلك اليوم وقف شيشونيغ أمام المذيع يعان إلى العالم
بأسره بأنه لانقاذ الدماء البريئة قد سلم للقوة، وبينما كان الناس يسمعون صوته المتهدج
وهو يقول « ليحفظ الله النمسا » كانت القوات الألمانية تندفع متخطية الحدود
لاحتلال أرض النمسا ، والمهرتلر في طريقه إلى العاصمة بالطائرة ! !

وفي الأيام التالية كانت مقصلة الجستابو لاتعرف طعما للراحة ، وأحست النمسا
بالفرق بين يد ديكتاتور صغير وقبضة ديكتاتور طاغية ، فهرع الآمنون إلى الفرار
وولوا وجوههم شطر الغابات والجبال ، ووصل هتلر إلى وطنه وهو تأرر غاضب ،
وقد أنبيء بأن نصف دباباته قد عطلت في الطرقات ، بفعل المدنيين العزل من كل سلاح .
وبذلك ضاعت النمسا من الوجود . . . ، وباتت فرساي ألقاضا محطمة ، كان
النازيون قد دقوا إسفيننا قويا في جنب البلقان ، وضاع نصف آمال فرنسا في حلف
لها في وسط أوروبا ، وحتى إيطاليا قد شعرت بقوة الضربة . . . ، ولم يبدو بوضوح
أترضى بأن تكون الشريك الأصغر في المحور . . . أم لا . . .

وتحقق السياسيون في أوروبا كلها بأن التوازن الدولي قد اختل في ليلة واحدة ،
وبينا كان البعض يفكرون بقلق في المستقبل حاول البعض الآخر الفرار من الحاضر
بأن يغمضوا أعينهم عن الحقيقة الواقعة وفي اليوم التالي أضيف مئات الألوف إلى
تعداد أولئك الذين يعيشون في أوروبا ولا كيان سياسي لهم ، لأنه لاوطن لهم . . .
« ولكن إلى متى يمكن أن يحدث هذا ؟ ! »

كان كل فرد يسأل نفسه هذا السؤال ، ولا إجابة عليه ، وفي ذلك اليوم
بعث هتلر إلى موسوليني بريقة يقول فيها « لن أنسى لك هذا ! . . . » ، وفي نفس
اليوم بعث المارشال جورج فاستدعى سفير تشيكوسلوفاكيا في برلين للقاءه ، ثم أكد
له أن لا داعي لأي قلق ، لأن استقلال تشيكوسلوفاكيا قد ضمنه الفوهرر ! ! ! . . .
فكانت هذه بدورها أضحوكة قيدت في سجل التاريخ .

مأاة موخ ...

«قصة سياسة تدمير الأمم الصغرى
لتجنب كارثة لم تلبث أن وقعت»

نحن الآن — فى فبرابر عام ١٩٣٨ فى بداية مرحلة من أدق وأعمد المراحل فى تاريخ العالم كله، مرحلة استمرت فيها السيطرة للقوة وللنفوذ وللتهديد...، وكان لزاما أن يكون لهذا كله نهاية واحدة هى مقابلة القوة بالقوة...، فكانت الحرب ولكنها جاءت متأخرة .

نحن الآن فى يوم السبت الثانى عشر من فبرابر عام ١٩٣٨ . وفى هذا اليوم كسبت ألمانيا الجولات الأولى من حرب عالمية لم تكن قد أعلنت بعد...، فقد أمّلت على العالم فى بريخستادن معاهدة سلم جعلت من معاهدة فرساي سجلا يمكن أن يظل مذكورا فى تاريخ البشرية ولكنها لاقيمة له من الناحية العملية... فى هذا اليوم نفسه بدأت النازية تتحرك طليقة فى كل أوروبا شرق الرين، وكان هذا لأن العالم الديمقراطى قد نسى مشاكله ونقض يديه من عهوده، ثم أخى رأسه فى خضوع، لأمام القوة، وإنما بسبب ما هو فيه من ضعف مخيف... فماذا حدث !!؟

فى الرابع من فبرابر خط هتلر أول سطر من الثورة التى اجتاحت كل شىء، فقد طرد رئيس هيئة أركان حربيه وأربعة عشر جنرالاً من الجيش العامل، ثم أعاد تنظيم الجيش الألمانى وحشد قواته تجاه كوفستين وسالزبورج فى الآلب وتجاه باساو على الدانوب، ثم بعث إلى شيشونىخ ليحضر، فلما حضر قابله وقد وقف وراءه القادة الألمان فى عدة القتال .

وأخى شيشونىخ رأسه للعاصفة التى كان يعرفها، لأنها كانت قصة معادة لما حدث فى ألمانيا نفسها مرة من قبل عام ١٩٣٣، يوم أن يوجه هتلر إنذاراً أنال النازيين بعض مقاعد الحكم فى ألمانيا، ولكن شيشونىخ وإن كانت لديه أفضلية

تكن في جانب الديمقراطيين الألمان ذلك أنه كان على رأس حكومة منظمة وبها سلطان ولها وجود إلا أنه لم يكن ليستطع في الواقع الانتفاع من هذا الكيان ، لأن أمة تسندها حراب الدول الأخرى لا يلبث الأجنبي أن يجد طريقا إلى السيطرة عليها .

وهكذا عند ما تحدث هتلر عما أسماه من قبل في كتابه « كفاحي » أنه « معركة » ، ردد ما كان قد قاله بأن الاستفتاء الذي يريد شيشونينغ القيام به ليس إلا تصويت غير دستوري أسوة بما حدث لدستور ويمر من قبل . . . ، وأن النمسا في حاجة إلى الهدوء ولو أدى هذا إلى إرهاب يهود فينا ، أو استبدال أولئك الذين في معسكرات الاعتقال من النمسيين بعدد مماثل على الأقل من خصوم النازية ، وما في هذا إيلا م لأحد ! ! . . لأن الناس يجب أن يكونوا سواسية حتى في احتمال الآلام ، وفي إظهار عوامل الشفقة متسع لكل فرد ! . . .

وتساءل الناس : ولكن لماذا يريد هتلر ضم النمسا إلى ألمانيا ؟؟ كان بعض الناس لازالوا يذكرون مقالا نشرته مجلة السياسة الجغرافية من قلم هوز هوفر الألماني في نوفمبر عام ١٩٣٤ وفيه يقول : (بأن النمسا في مركز خطر من الناحية العسكرية فإن حدودها مجردة من التحصينات ، ولا تصلح لإعداد المناطق الدفاعية لتمنع مهاجمة جيرانها لها . . . ثم إنها بسبب هذا الضعف تهدد بأن تكون مكان المعركة للحرب العالمية القادمة) . . .

ولكن مع هذا . . . كان بعض الناس يتساءلون عن السبب . . . هل للمواد الحام طبيعا لا . . . لأن النمسا لا تملك شيئا من المواد الحام ، هل لزيادة رخاء الشعب الألماني . . . بلاشك . . . لا ، لأن النمسا كانت أمة فقيرة كثيرة المشاكل . . . ، ولكن الواقع أن السبب كان من الناحية الاستراتيجية عظيما لأن النمسا هي مفتاح وسط أوروبا ، واحتلال النمسا كان يمكن من الإحاطة بتشيكوسلوفاكيا ، وياحتلال النمسا تبيت حقول الغلال في المجر وآبار الزيت في رومانيا مفتوحة في وجه الألمان . . . ، فقط يجب أن يقدر أن أمة واحدة يمكن أن تقاتل لأنها تستطيع القتال . . . ولأنها تريد القتال . . . ، هذه الدولة هي تشيكوسلوفاكيا . . . ، تشيكوسلوفاكيا الدولة التي صورت لها مصورة وزعت على الألمان وقد خط أسفلها .

« الدولة الصغيرة التي زهدت ألمانيا الكبرى »

ورسمت فيها خطوط سوداء تخرج من حدود تشيكوسلوفاكيا إلى مدى ٥٥٠ ميلا — مرعى قاذفات القنابل المتوسطة — فغطت هذه الخطوط ألمانيا كلها ... ، فإذا كانت النمسا قد فقدت استقلالها بلا دماء في رأى الناس فإن تشيكوسلوفاكيا لن تكون كذلك ... ، ويجب أن يعد من البداهة أن المسألة إما أن تتحول إلى أسبانيا أخرى وإما أن تقود إلى حرب عالمية جامعة

وفي هذه المرة أيضا يجب أن تلعب السياسة دورها إلى جانب الاستراتيجية بسرعة وبحكمة .. ، ذلك لأن المسألة قد تحولت إلى خطوة جريئة هي العمل لأن يحكم ثمانون مليوناً من الألمان أما أخرى يعيش فيها ثمانون مليوناً من البشر هم التشك والسلاف والمجريون واليهود والصربيون والبولنديون ثم الكرواتيون .. ، وبذلك يمكن أن يرفع علم النازية ذو الصليب المعقوف في شرق أوروبا كلها مواجهها العلم الروسي الأحمر حادا من أطماعه ، على أن رجلا آخر أوفى عقلا من هتلر كان في مثل موقفه ولكنه لم يفكر في حوض الدانوب قط
هذا الرجل هو بسمارك الرجل الذي وضع أسس ألمانيا الحديثة .

* * *

على أن مأساة النمسا أظهرت للناس رجلا آخر كأبطال القرون الوسطى ، رجل لا يلبس درعا من الصلب . . . ولا يحمل فاسا من حديد . . . بل رجل في ثياب أكثر إناقة من الدحى التي توضع في واجهات حوانيت باريس ونيويورك .
هذا الرجل هو أنتوني إيدن

وقد ذكر الناس أنه عندما نقل إلى البشر أن البطولة قد ماتت في أوروبا قام أمير مجهول من الناس هو دون جون النمسوى يسير وحده للدفاع عن روح المسيحية فتبعه الناس لأن بقية من الإيمان بحقوق البشر كانت لاتزال فيهم . . .
ولكن عند ما وقف أنتوني إيدن وحده قفدت القلوب لحديثه وتضافرت الأيدي . . . ، كان التاريخ نفسه هو الذي يتحدث عند ما وقف إيدن يقول « إن هذا ليس ميلا إلى السلم بل تسليم للسرقة والاعتصاب » .

ولكن فردا واحدا لم يكن معه اللهم إلا اللورد كرانبورن وكيله في إدارة الشؤون الخارجية . . . ، فقد تغلبت الأصوات وهي أصوات تجار المدن والمساومين وأصحاب الحوانيت أولئك الذين يستند إليهم تشمبرلين . . . ، وتشمبرلين في الستين وإيدن في الأربعين .

كان إيدن ضابط في القوات الاحتياطية برتبة كبتن — تطوع للخدمة في السابعة عشر — فهو إذن لم يكن شابا لأن الحرب العالمية الأولى التهمت شبابه ، ثم أنه فقد أخاه في تلك الحرب ، ولا زال إيدن صالحاً للقتال بعكس تشمبرلين ، والجيل الذي منه إيدن يمكن أن يحضر الحرب في أية لحظة في مدى حقبتين من السنين ولكن تشمبرلين سيموت .

وعند ما وقف إيدن ليقول « إن الحرية ستموت في العالم لعدد لا حصر له من السنين مالم يخاطر الناس على أن يخاطروا الآن وليس في الغد » كان الدهماء يصيحون في طرقات فينا « هايل هتلر وليسقط اليهود » .

واهتزت في براج آخر حكومة برلمانية في وسط أوروبا ، ولكنها أعلنت برغم الموقف الخطر الذي تعيش فيه أنها ستقاتل قبل أن تسلم فقد قال إدوارد بنيش منذ عام قبل ذلك « إن الحرية ليست من نصيب أولئك الذين لا يموتون من أجلها » ، وإذا قاتلت تشيكوسلوفاكيا فإن هذا معناه الحرب

وكان هتلر وموسوليني يملكان مالا تملكه فرنسا وبريطانيا . . . ، هذا الشيء هو التصوير السياسي ، فقد كانا يعرفان ماذا سيحدث في بريطانيا عند ما انتصر تشمبرلين على أساس سياسة الواقع « لاسياسة المنطق » .



ولكن هل كانت مشكلة الأقليات الألمانية في تشيكوسلوفاكيا . . . والجموع التي تتحدث الألمانية وتدين بالنازية في النمسا مشكلة حديثة جاءت وحدها في عام ١٩٣٨ أو قبل هذا بقليل !!؟ ، الواقع أن هذا قديم أملاء الجنرال كارل هوزهورف على هتلر عند ما كان سجينا في قلعة لمبرج يخط كتابه « كفاحي » ، ذلك لأن شيئا من هذه الأرض لم يكن ألمانيا أصلا . . . ، وإنما الفكرة هي سيطرة ألمانيا على وسط أوروبا سيطرة فيها نوع من الوقاية الهجومية . . .

والواقع أن الفكرة نشأت عن تقوية الأرض التي يقال لها آسيا الأوروبية Eurasia مع ضمان إنشاء ووقاية الطرق التي تسير من ألمانيا إلى روسيا ، مثل هذه الطرق موجودة في الأرض التي تسمى جغرافيا وسط أوروبا .

ويقول جوهانيس كوهن في كتابه *Über den Sinn des gegenwartiges Kriegs* في الحديث عن هذا :

«إن النطاق من الشعوب بين فنلندة واليونان يعتبرون أهل الحد الشرقي لأوروبا وكل هؤلاء الناس يقيمون في دائرة نفوذ قانون السياسة الجغرافية الأوروبية ، وهم وإن كانوا يعيشون في ظل الجنس والفكر الأوروبي إلا أنهم ليسوا من نباته ، ثم إنه تبعا لضغط آسيا الأوروبية للغرب في ذات الاتجاه الذي تضغط فيه الامبراطورية العثمانية تركت مصورة أوروبا في عام ١٨١٥ شعوب هذا النطاق كله دون أى أثر للاستقلال لأنها وزعتهم بين تركيا والنمسا والمجر والروسيا .

على أن هذا التصور الجديد القائم على أساس الجنسية لم يؤثر فقط في شعوب النطاق الشرقي ، بل كان سلاحا في يد الدول الكبرى يعاونها في ضغطها من الأمام والخلف ، والصفة الإقليمية لهذه الضغوط قد بدأت تتحول إلى صراع له قيمته الروحية والاقتصادية ، كما أن له قيادته السياسية للشعوب الجديدة ، ومن أجل هذا اتقسم البلقان تبعا للجنس قبل الحرب العالمية الأولى . . . ثم إن مسار الحرب نفسها وسقوط روسيا قد نظما من التطور التام لاستخدام «عمل الجنس» كسلاح تستخدمه دول الوسط للنفوذ نحو الشرق » .

« وليس للدول الغربية أية مصالح في منطقة شرق أوروبا ، لكن حالة ألمانيا من هذه الناحية تختلف تماما ، فمنذ أن كونت ألمانيا الكبرى فإن العداء النمساوي البروسي قد ترك جانبا ، إذ تقف تجاه شعوب النطاق الشرقي امبراطورية عظيمة لا تقصد ابتلاع هذه الشعوب بل أن توجد معها نظاما اقتصاديا سياسيا جديدا » .

والعلاقات الاقتصادية بين ألمانيا وهذه الشعوب طبيعية ، ولا يمكن أن تقطع أو تعطل إلا بفعل سياسة الدول الأجنبية عن هذه المنطقة ، والاستقلال السياسي لكل الأمم التي في هذا التنظيم الجديد ليس فقط ممكن بل إنه طبعى ، وإذا جاء وقت أرغمت فيه ألمانيا على أن تقرر لوقت ما اتخاذ تدابير شديدة للسيطرة على جيرانها

التشك والبولنديين بسبب تكرار عداهما لألمانيا . فلا حاجة تضطرها إلى هذا بالنسبة لباقي الشعوب في شرق أوروبا . . . فهلا تكون هذه العلاقات الطبيعية النافعة المليئة بالتعاون متبادلة ؟ وهل لا يعمل أهل هذه الشعوب الشرقية على تأكيد مثل هذه العلاقة مع الرينخ » .

والكثير من هذه الأرض ، قد ضم إلى النمسا بعد عام ١٨٦٦ استولت عليه بعد قرون في قتال مستمر وأخذته من السلاف ومن المهاجرين الذين ليسوا من أصل ألماني ، ولهذا فإن مطامع ألمانيا في تلك المنطقة لم تكن واضحة قط ، ولكن لم يلبث أن بدا بوضوح أن الحاجة للدفاع عن ألمانيا من الغيرين عليها قد حولت منذ بعيد إلى تدابير هجومية دائمة ، ذلك لأنه لم يكن من الممكن في هذه السهول الفسيحة في وسط أوروبا الشرقي إعداد حاجز طبيعي يمكن من الحد من الاتساع بخلق خط سهل الدفاع عنه ، وتبعاً لأن التحركات العسكرية تفسح الطريق تدريجياً للنقل التجاري ، فإن وسط أوروبا قد تحول إلى شبكة من الطرق تربط بين غرب وشرق أوروبا ، وبين غرب أوروبا والشرق الأدنى وبين البلطيق وشرق البحر الأبيض المتوسط ، والسيطرة على هذه الطرق لا يمكن تقدير قيمتها بالنسبة لأية دولة تجارية أوروبية . وأخيراً فإن نهوض المدن الألمانية الصناعية قد سحبه إيجاد سوق لها ، كما أنه مكنها من أن توجد لها موارد من الأغذية في سهول وسط أوروبا . . .

« وهذا الموقف يوضح الخط الذي تواجهه ألمانيا من الإحاطة بها سياسياً . كما أن هذه الإحاطة تعرضها للجوع الاقتصادي ولل هجوم من كل الاتجاهات (١) .
وعدم وجود أي حاجز طبيعي على الحدود الشرقية للأمة الألمانية قد جعلها (أرض لا درع في ظهرها تستند إليه) ، ومعنى هذا أنها لا تستطيع أن تغمض عينيها عن الحوادث السياسية في البلدان المجاورة ، وقد تركت الحرب العالمية الأولى وسط أوروبا مقسماً إلى دول صغيرة قليلة عدد السكان ، وحدات مفككة لا يمكن أن تنظم بينها وحدة تجارية ولا أن توجد بينها عصبية سياسية .
ويقول علماء السياسة الجغرافية في هذا إن مثل هذه المنطقة لا يمكن أن تستقر

(١) صفحة ٣٠١ كتاب Geopolitik und Staatebtrgerliche Bildvug

للوتينسك هيرمان :

على أساس مجموعة من الدول الصغرى لأن توزع الأجناس لا يمكن من أن ترسم الحدود السياسية بحيث تتبع مناطق إقامة الأجناس والشعوب ، ولهذا فإن مثل هذه الدول يجب أن تضم إلى الدول الكبرى التي تجاورها لتعيش فيها كمجموعة متحدة . لا كدول في داخل دولة . . .

وعلى هذا التقدير كتب كارل هوز هوفر في عام ١٩٣٣ يوضح هذه النظرية (١) ، ثم عقب على هذا الايضاح بأن اتجاه ألمانيا إلى الشرق هو الوسيلة الوحيدة لضمان حصولها على تموينها الغذائي ، ثم إن وسط أوروبا لكي يوازن بين صادراته و وارداته يجب أن يبحث عن المستهلكين في المجموع التي تقطن لغرب روسيا في نطاق من الأرض تقيم فيه شعوب الأمم الآتية من الشمال للجنوب : السويد - فنلندا - استونيا - لثوانيا - بولندة - تشيكوسلوفاكيا - يوجوسلافيا - رومانيا . وهذا الحديث يوضح لنا بجلاء سير أطماع ألمانيا ووجهة النظر الأساسية في اتجاهها للشرق .

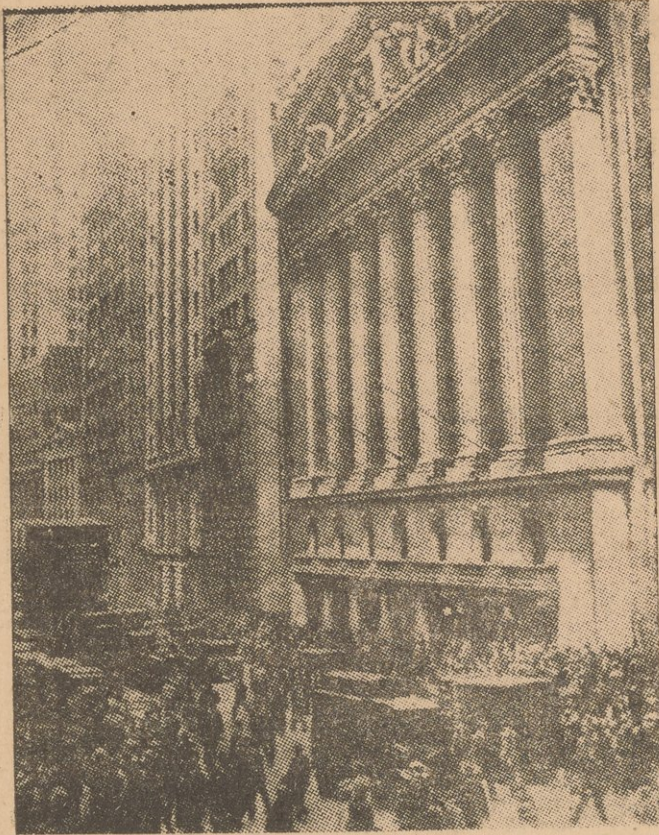


والآن هل يحق لنا أن نعود ثانية لتقف قليلا متمهلين بإزاء «سياسة الواقع» ، فلو تابعت بريطانيا سياسة الاحتفاظ بوحدة بريطانيا وسلامة مواصلاتها بين مختلف أجزاء الامبراطورية . فأى اعتراض منطقي يمكن أن تقف معه ضد سيطرة النازي والفاشيست في أسبانيا ، وأية قوة لديها يمكن أن تدعم بها هذا الاعتراض . وأية قوة لها تمكن من الاعتراض على سيطرة اليابان في آسيا سيما بعد أن أعلن هتلر وموسوليني تأييدهما لهذا الغزو في الشرق الأقصى .

ثم أية قوة لها تمكن من الوقوف في وجه أطماع ألمانيا وإيطاليا واليابان في أمريكا الجنوبية . فإذا انتقلنا إلى ناحية أخرى من الحديث . . . فإننا نجد أن المنطقة لشرق الرين ستسيطر عليها ألمانيا اقتصاديا ، ولن تستطيع أية أمة أن تتجر مع أم هذه المنطقة بدرجة لها قيمتها المالية . وبالإضافة إلى هذا فإنها تبعاً لحصول الألمان على المواد الخام التي في تلك المنطقة سيستطيعون أن يزيدوا من تدخلهم في التجارة العالمية سيما إذا قدرنا البرنامج الألماني للتخزين لمواجهة قانون العرض والطلب . . .

(١) صفحة ٤٠ من كتاب Der nationalsozialistische Gedanke in der Welt

عند ما جنت أمريكا



إحدى مناظر الاضطراب والتراحم خارج دار البورصة

في نيويورك — اكتوبر ١٩٣٩

فإذا اتجهنا إلى الشرق نجد أن اليابان تبعا لسيطرتها على موارد المواد الخام في الصين وتبعا لاستنادها إلى قوة صناعية هائلة . فإنها بالتبعية ستزيد من تدخلها في التجارة العالمية ، كما ستتمتع في ذات الوقت باقى الدول من الاتجار مع الصين كما فعلت عند احتلالها لمنشوكو .

فإذا اتجهنا إلى أفريقيا نجد أن التجارة العالمية ولا شك تتأثر لو استعادت ألمانيا مستعمراتها في أفريقيا ، ولو قدرنا مناطق النفوذ التجارى هذه التى ستقتطع من دائرة الاتجار العالمى نجد أن المناطق الطليقة الباقية سيكون التنافس فيها قويا .

والأمر الأهم من هذا كله... هو الصراع العنيف الذى يقوم بين وجهات النظر، والحرب فى العصور الحديثة هى حرب آراء ومعتقدات قبل أن تكون تراشق بين المدافع . . . فهل يمكن التفاهم مع أمم معتدية مسلحة تستند كل تحركاتها البرقية إلى الدعاية كسلاح قوى حاد مدبب الطرف؟! ..
الواقع لا . . .

إذا هل كان المنطق فى جانب إيدن . . . أو تشمبرلين ؟ ؟

* * *

على أن الأمر كان يتطور بسرعة ، فى الثالث عشر من مارس ضمت أراضى النمسا إلى ألمانيا الكبرى ، وفى السادس عشر من ابريل وقعت إيطاليا وبريطانيا اتفاقية ودية بأن تسحب إيطاليا قواتها المسلحة من أسبانيا .

وقد يقال وأية صلة بين الأمرين؟! .. الواقع أن حكومة تشيمبرلين كانت فى حاجة إلى شىء تشغل به رجل الشارع . . . وهى تعلم أنه يفكر فى جبل طارق كما يفكر بميدان ترافلجار فى قلب لندن . . . وسحب الجنود الايطاليين من أسبانيا يمكن أن يبعد آخر ظلال توجد شيئا من الخوف على جبل طارق . . .

ولكن محور روما — برلين كان أبعد مطامعا وأكثر إدراكا إلى أن قلب أوروبا يجب أن ينظم أولا قبل التفكير فى أطرافها . . . وكان الانتهاء من مشكلة النمسا حافزا للبحث عن حل مشكلة مماثلة ، هى مشكلة السويدت الألمان فى تشيكوسلوفاكيا من جهة . . . ومشكلة المنطقة المحصنة على حدود تشيكوسلوفاكيا التى تصلح للدفاع صلاحيتها لأن تكون قاعدة للهجوم الجوى على قلب ألمانيا . . . ثم بعد هذا كله مصانع سكودا للأسلحة والذخائر . . . وما تستند إليه من المواد الخام .

ومرة أخرى تبدأ مسرحية الأقليات الألمانية المظلومة تعرض أمام النظارة ،
ومرة أخرى تجيء الوفود إلى برلين فيمد هتلر يده بالتحية النازية ثم يقف محاطا
بقيادة الجند ليقول : « إنني ما نسيتكم ولن أنساكم . . . » ولو أفاض لهتلر لتحدث
كثيرا . . . ولكن الأمر لله . . .

ولكن هل يمكن هذه المرة أيضا أن تنحني بريطانيا لتجنب العاصفة . . .
وهل تفعل فرنسا فعلها . . . ؟ وتشيكوسلوفاكيا هي الدعامة الباقية في وسط أوروبا كعضد
لفرنسا ، إذا فليجس النبض في صورة غير رسمية . . .

ففي العشرين من مايو قدم مسيو هوزا رئيس وزراء تشيكوسلوفاكيا إلى البرلمان
التشكي تشريعا يظن أنه يمكن من تعبيد الطريق لإيجاد حل لشكايات الأقليات الألمانية،
وفي نفس الوقت كان كونارود هنيلين زعيم السوديت الألمان يزور لندن بفكرة
أن تتدخل بريطانيا لإرغام الحكومة التشكية على أن تمد يدها بأكثر مما تستطيع .
ولا يمكن القول بأنه لم يكن موقفا إلى غاية ما تعنى هذه الكلمة من معنى . . .
فإن الحكومة البريطانية كانت قد بعثت إلى براج تحث التشك على التسامح
إلى أقصى ما يمكن . . . وما أجمل الألفاظ التي يمتلئ بها قاموس السياسة . . .
على أن هذا الحث كان يحمل تهديدا مستورا . فإذا لم تتقدم الحكومة التشكية
من جانبها بما يمكن أن يرضى هنيلين ، فإن الحكومة البريطانية تغسل يديها بما يمكن
أن ينتج . . . ، ولم يكن فردا حتى ولا في بريطانيا نفسها يستطيع أن يقدر ما يمكن
أن يحدث .

وكانت أبرز شخصية في المشكلة هي شخصية اللورد رانسيان مبعوث مستر
تشمبرلين إلى براج .

على أن الموقف الذي تقفه حكومة تشمبرلين كان بلا شك عاصفا بالنسبة للرأي
العام في العالم كله ، فإن ما يطلبه هنيلين إنما يعنى انتحار حكومة تشيكوسلوفاكيا
في سبيل السلم الأوروبي ، وسياسة حكومة تشمبرلين إنما تتجه إلى تحميل الحكومة
التشكية مسؤولية ما يمكن أن ينتهي عن رفضها هذا الانتحار . . . ، كانت أوروبا
إذ ذاك تجتاز مرحلة سياسية يسيطر فيها الديكتاتوريون على كل شيء ، ولكن
التشك أمة حرة . . . ، والقانون الذي يقدمه مسيو هوتزا سيعرض على برلمان به

ثلاثمائة عضو فيهم اثنان وسبعون ألمانيا ليس لهينلين بينهم إلا أربعة وأربعون . . .
وإن كان بعض هؤلاء في الواقع لم ينضموا إليه إلا صدق للإرهاب الذي حدث
في النمسا بعد ضمها لألمانيا . . .

كان أولئك يعملون للمستقبل القريب . . . وكانت حكومة تشمبرلين مثلهم
تفكر دائما في هذا المستقبل القريب . . .

على أن تشيكوسلوفا كيا نفسها كانت أمة بها الكثير من الأقليات ، ولم تكن
بهذا في صورة شاذة أو وضع غير واضح بل كانت أسوة بباقي الأمم التي في حوض
الدانوب حيث تختلط الأقليات ، وفي تشيكوسلوفا كيا كان أولئك الذين يتحدثون
بالألمانية والذين عاشوا في بوهيميا القديمة كما كان الكثير من المجرين وأهل
ريتوانيا — وقليل من الروس الذين باتوا جزءا من بولندا .

وقد عمل الرئيس مازاريك — وربما كان هو أقدر سياسي عاش في أوروبا
بعد الحرب — من البداية للحد من سيادة السلاف ثم للتسامح لأرضاء الألمان وكل هذا
بفكرة ضرورة تنسيق حياة مختلف الجنسيات على قاعدة حرة . . . ، وبذلك يمكن
القول أن الأقليات الألمانية في تشيكوسلوفا كيا كانت تعامل في صورة أحسن مما يمكن
أن تعامل به هذه الأقليات في أي من الدول التي تحتل أرض وسط أوروبا . .
بل وأكثر بكثير مما كانت تعامل به الأقليات الألمانية في إيطاليا . . .

وقد رسمت حدود تشيكوسلوفا كيا لتضم هذا الجزء من أهل بوهيميا الألمان كما
رسمت حدود إيطاليا لتضم أهل التيرول الجنوبي الألمان ، فهذه حدود تاريخية ،
والجبال تعطي حدودا طبيعية هي في الواقع وسيلة من وسائل الدفاع الطبيعية ، ثم أن
أولئك الألمان لم يكونوا يوما ما جزءا من الريح بل كانوا تابعين لبوهيميا التي كانت
قبل الحرب العالمية الأولى جزءا من امبراطورية النمسا والمجر ، والتي كانت إذ ذاك
تضم شعوبا مختلفة من السلاف والألمان . . .

وإذا كانت الفكرة هي توحيد كل الشعوب الألمانية في داخل الريح فمعنى هذا
أنه يجب أن يضم أهل التيرول الجنوبي إلى ألمانيا — وإذا كان من الضروري أن
يدافع موسوليني عن الحدود عند برينرفان الرئيس بنيش يجب أن يدافع عن
الحدود البوهيمية .

ولهذا كان ما يطلبه كونارد هينيلين من الدول الديمقراطية معاوته لإدراكه
كان عجيبا لأنه يتطلب تعديل الدستور التشكي مادام من غير الممكن أن يتغير
ادوارد بينيس أو المسيو هودت زار رئيس الوزراء ليكون ديكتاتورا .
وتشيكوسلوفا كيا كأمة دستورية فيها برلمان لا يمكن أن تتوفر فيها أغلبية الثلاثة
أخماس التي ترضى بتعديل الدستور والتي تنزل عن الحدود الوحيدة التي تصلح للدفاع
من أجل صالح أقلية تقل عن ربع تعداد السكان . . . ويقل ممثلوها عن سبع
عدد النواب .

ثم إنه لا يمكن الاقتناع بأن تعمل من هؤلاء السوديت دولة ألمانية في داخل
تشيكوسلوفا كيا وإلا كان هذا قصة أخرى لحصان طروادة تعاد من جديد . . .
ولكن هناك أقليات أخرى في تشيكوسلوفا كيا يحق أن يكون لها بدورها
مطالب . . . ، فهل معنى هذا أن تضم كل هذه الأقليات إلى الدول التي ترجع بأصولها
إليها . . . بالطبع لا ، وإذا كانت تشيكوسلوفا كيا ليست مستعدة لأن تنزل عن هذه
الأرض أو تمنح هذه الحقوق طائفة مختارة ، فهل ينتهي الأمر إلى استخدام
العنف والقوة ؟ .

وإذا كان هذا فهل هي مسألة حرب أهلية ، أو هل يكون هتلر على أتم استعداد
من أجل هؤلاء السوديت . . . ولا إثارة حرب عالمية أخرى بسبب جزء من قطعة الأرض
التي وصفها موسوليني بأنها كالزائدة الدودية في جسم أوروبا ما دامت فرنسا والروسيا
لن ترضيا عن غزو التشيكوسلوفا كيا ، ولا يمكن أن تسير فرنسا إلى القتال بغير أن
تصحب معها حليفها عبر قنال المانش .

والأمر الآخر هو أنه من المحال أن تدفع الحدود إلى الوراء في خط متكسر
حتى يمكن أن تفصل المناطق التي تتضمن أغلبية ألمانية لأن السكان في كل مكان قد
اختلفوا ببعضهم البعض بدرجة كبيرة في العشرين سنة الأخيرة ، فلو أريد أن يعطى
لألمانيا كل ألماني مع الأرض التي يعيش فوقها كان معنى هذا إعطاءها تشيكوسلوفا كيا
كلها في صورة مناطق نفوذ مبعثرة على طول أرض الدولة .

وكان من الممكن أن يقال بأن أي ألماني نازي في تشيكوسلوفا كيا يريد أن
ينتقل إلى ألمانيا يمكن أن يعطى فسحة من الوقت لتصفية أعماله ونقل ما يمكنه أخذه

معهم وعلى أن ينتقل إلى تشيكوسلوفاكيا عدد مماثل من اللاجئين الذين يريدون أن يعيشوا في ظل حكم ديمقراطي .. ، وعلى أن يكون هذا الاختيار بمحض الرغبة دون أى ضغط وعلى أن تتولى لجنة محايدة هذا.. على أن تضمن كل من الدولتين سلامة رعاياها الذين يريدون الهجرة من أرضها .

ولكن شيئا من هذا لم يكن ليقتنع كونارد هينيلين لأن شيئا من هذا لم يكن ليتفق مع الأوامر التي تلقاها من برلين .. ، وعلى هذا كان الأمر يسير تدريجيا في اتجاه زيده تعقيدا سيما وقد قطعت تشيكوسلوفاكيا جغرافيا عن أصدقائها في روسيا وفرنسا هذا علما أن مواصلاتها وتجارها لخارج أرضها يمكن أن تقطعا في أية لحظة .. ، وكان كل فرد في تشيكوسلوفاكيا يخشى أن تكون لهم النهاية التي آلت إليها النمسا ، إلا أن شيئا واحدا كان يفرق بينها وبين النمسا ، وهو قوة جيشها وكفايته ثم التحصينات التي لا تمكن باشتراكها مع طبيعة الأرض من أن تحتلها ألمانيا في غارة واحدة مفاجئة . وفي قرابة نهاية ابريل احتشدت القوات الألمانية حول الحدود التشيكية وفسرت برلين هذا الحشد بأنه لا يعنى أكثر من الترتيبات العادية لتوزيع القوات في محطات السلم ، ولكن هذا الحشد بلغ في منتصف مايو درجة لم يمكن أن يقبل معها هذا التفسير الذي يقول بأن الأمر لا يعدو الترتيبات العادية ، وكان لهذا كله ولاشك صدى مماثل في تشيكوسلوفاكيا نفسها ، وكان من الواضح الجلي في مناطق السوديت أن ساعة الخلاص قد حانت ، ولكن فردا من هؤلاء لم يكن يعرف حقيقة المستقبل الذي يواجهه ، وعقدت الوزارة التشيكية اجتماعا في يوم الجمعة العشرين من مايو لبحث الحال ، وطال أمد الاجتماع ودعى رؤساء القوات المسلحة إلى قاعة اجتماع الوزراء .. ، وفي المساء صدرت أوامر باستدعاء بعض طبقات من الاحتياطى للخدمة في القوات العاملة .. وقد أرسلت الأوامر في الثامنة مساء .. وفي الصباح التالي كان أكثر من تسعة وتسعين في المائة ممن يشملهم هذا الأمر قد انضموا إلى الوحدات التي عينت لهم ... وأثارت الأنباء القادمة من تشيكوسلوفاكيا قلق الجماهير في لندن وباريس ... سيما وأن الأحوال تدل على أن روسيا وفرنسا لن يتركا تشيكوسلوفاكيا تقاتل وحدها إذا هاجمها الألمان ، وأصدرت لندن أوامرها إلى الميونيخ هندرسون سفيرها ببرلين أن يقصد إلى ولهاستراس ليوضح للحكومة الألمانية وجهة النظر الإنجليزية ، ولقد أوضح السير هندرسون الموقف وأن بريطانيا وإن كانت لا تستطيع

أن تقرر من البداية مساعدة تشيكوسلوفاكيا إلا أنه عند ما تعلن الحرب لا يكون الأمر وقفا على أولئك الذين قدموا تعهدات بالمعاونة ، ومن المحال أن يقال إلى أى حد يمكن أن ينتهى الأمر وأية حكومات يمكن أن تضطر إلى القتال ، فان ضغط الحوادث قد يكون أقوى من التصريحات والتعهدات .

وجاء يوم الأحد الحادى والعشرين من مايو بتصريح جديد من فرنسا فقد أخطر وزير خارجية فرنسا سفراء ألمانيا والروسيا والولايات المتحدة أنه إذا اضطرت الحالة مع الأسف إلى العمل فإن فرنسا ستوفى بتعهداتها ..

ولكن لم تكن هناك من حاجة هذا فلم تلبث الأيام أن مرت فى هدوء ، ولم يكذبطل على العالم شهر يونيو حتى كانت مسألة تشيكوسلوفاكيا قد انتقلت من الصفحات الأولى للدوريات اليومية ، ولم يعد الأمر يسبب أكثر من قلق الرجال السياسيين فى أوروبا ، وقيل بأن موقف بريطانيا قد أنقذ تشيكوسلوفاكيا وأنقذ السلم الأوروبى .. ووجدت الصحف الألمانية التى تصدر فى براين سببا لمهاجمة حكومة لندن .. كما بدأت صحف روما حملة عنيفة لمهاجمة تشيكوسلوفاكيا ، ولكن الأيام بدأت تسدل الستار تدريجيا على كل شىء ... ، وبدأ الناس يظنون أن مسألة السويد الألمان لن تكون أكثر من باقى المشاكل الألمانية القائمة منذ أن وقعت الدول معاهدة فرساييل ، فلم يعد فى الإمكان رؤية الدول تختفى فى أعقاب بعضها البعض من المصورة التى تحمل ألوان مختلفة لتوضح استقلال كل منها ... ، ثم إن مغامرة النمسا إذا كانت قد نجحت ، فان نجاح هتلر ليس معناه أن أوروبا قد نفذت يديها من نظرية إيجاد دول صغرى على حدود الدول الكبرى لتفصل بينها ، وإنما معناه أن إيطاليا الدولة التى ضمنت استقلال النمسا هى التى قبلت أن تخنى رأسها للعاصفة ...

ومر شهران ... وبدأت المشكلة فى بكورة أيام أغسطس تطل على العالم من جديد وأفاق الناس فى الدول التى تتحدث صحافتها كل يوم بأن لا حرب فى الأفق ليسمعوا بأن الألمان قد استدعوا عدة طبقات من الاحتياطى للمناورات العامة ومدوا خدمة المجندين الذين كان قد حل دورهم للتسريح .. ، وأن مصانع الذخيرة ... وأعمال الإنشاء فى الهضبات الغربية المواجهة لحط ماجينو تسير بسرعة الحمى فى الجسم العليل ... ،

كانت ألمانيا قد تخطت كل حد وجمعت مليوناً ونصف مليون جندي مدربين على القتال ضمتهم إلى وحداتها المقاتلة .. ، ولما تم هذا كشفت الصحف عن حملة عنيفة وجهتها ضد تشيكوسلوفاكيا ... ومرة أخرى الأمة التي تعيش كالزائدة الدودية الملتهبة في جسم أوروبا الذي يحتاج للعلاج الحاسم السريع أن يقضى عليه ...

وكانت بريطانيا قد بعثت إلى راج بالورد رانسيان للعمل كوسيط محايد للتخفيف من حدة المشكلة ، وبدا لكل فرد أن الذي يسبب تعقد الموقف هو الاعتقاد بأن ألمانيا قد يمكن أن تهاجم تشيكوسلوفاكيا في أى وقت لو لم تقتنع بأن بريطانيا ستتعاون مع روسيا وفرنسا في الدفاع عنها . ، وإن كان الخطر كله يمكن في أن الهر هتلر ومستشاريه الأقربين جد يثقون بأن بريطانيا في غمرة سياستها المسالمة لا تتوى إطلاقاً التدخل الجدي مهما حدث ...

ومرة أخرى مهما حدث ...

وكوفيء اللورد رانسيان على جهوده بأن تقدمت حكومة راج في الخامس من سبتمبر بمقترحات وسمت بعنوان «المشروع الرابع» كانت في رأى رانسيان قريبة جداً من المطالب التي ينادى بها كونارد هينيلين ، وتبعاً لاقتناع الوسيط المحايد بها ، وفي غمرة موافقة بريطانيا وفرنسا عليها قدمت هذه المقترحات إلى زعماء السويد الألمان . . . ، وكان لزاماً أن يجد فيها هؤلاء حلاً عادلاً لمشكلتهم . . . ، ولكن قبل مرور يوم واحد . . . كان من الممكن أن توضع وثيقة هذه المقترحات في السجل الذي تحتفظ فيه قصاصات الورق المماثلة التي لا تزال وستظل مذكورة في تاريخ البشرية . . .

فقد وقع حادث في ميهريش أوستراو . . .

وكثير من الحوادث تقع كل يوم وفي كل مكان .. ، ومع هذا فإن هذا الحادث الفردي التافه كان من الممكن أن يكون سبباً لإغفال المفاوضات . . . ، وأن يكون سبباً لأن تخرج صحف برلين وقد خط في واجهاتها بأحرف كبيرة « استخدام الارهاب الجنوني في تشيكوسلوفاكيا » ، وهو لم يزد عن اصطدام تافه بعض النواب السويدية . . . ولكنه سبب قلقاً كبيراً لم يسببه كشف الستار عن مؤامرة كانت أوسع مدى بقصد الحصول على البارود اللازم للمفرقات . وكان هذا الحادث عاملاً

جديداً في الموقف باعتباره سبب ثلثة في المفاوضات التي كانت تجري إذ ذاك، وعن طريق هذه الثغرة استطاعت قوى كثيرة أن تحترق الجبهة المتصدعة التي كان يمكن أن توجد لايجاد تآلف بين التشك والسلاف والسوديت .

على أن سبتمبر نفسه يمكن أن يعتبر نقطة تحول لكل أمر تكون له صلة بالريخ ففي الثاني عشر من سبتمبر كل عام يخطب هتلر في اجتماع الحزب في نورنمبرج ...، فهل سيخطب هتلر ... بالطبع نعم ...

هل يذكر تشيكوسلوفا كيا ... طبعيا أجل ...

هل سيقوم بحملة عنيفة على حكومة براج ؟ .

أوهل يمكن أن يفكر في سلم أوروبا فيمر بقصة السوديت الألمان سريعا حتى لا يثير المشكلة من جديد؟ الواقع أنه لم يكن في العالم كله فرد واحد يستطيع أن يصل إلى إجابة صحيحة ... وجاء الثاني عشر من سبتمبر وخطب هتلر فحمل على حكومة براج حملة عنيفة وكانت هذه الحملة إيذانا بالفوضى والاضطراب ... وإثارة لهما ...

ثم كان الرابع عشر من الشهر ... كانت القوات الألمانية منذ أمس قد تم حشدها على حدود تشيكوسلوفا كيا — التي لم تجد من رد حاسم إلا بأن ترسل جنودها لاحتلال تحصينات الحدود والوقوف على حذر ... وفي الوقت نفسه احتلت القوات الفرنسية تحصينات خط ماجينو ، وباتت أوروبا كلها متأهبة فقد نفخ في البوق .

وفي الصباح الباكر استعرض مستر تشمبرلين في المنزل رقم ١٠ شارع دونج ستريت بلندن الموقف لنفسه ، كان كل شيء يبعث على التشاؤم ... ولكن تشمبرلين مهما قال فيه الناس الذين كانوا يعارضون سياسته ، ومهما وجه إليه من نقد احتمله في جرأة كان رجلا من رجال السلم ... ، وسواء أخطأ أم أصاب فقد كان يعمل بوحى ضميره ... ، ودون استشارة أي فرد مسئول من الوجهة الدستورية بعث يقترح مقابلة هتلر ... وجاء رد برلين بالترحاب ... ، وبدأ في اليوم التالي رجل يحمل في يده مظلة سوداء في التاسعة والستين من عمره أول رحلة جوية له قاطعا قارة أوروبا في خط أفقي ليصل إلى منتصفها ، ووصل إلى مونيخ بالجو ثم قطع الطريق الباقي إلى وكر هتلر في الجبل في سيارة مغلقة ، والتقى الرجلان في وحدة من الناس إلا مترجم يتقل

حديث كل منهما للآخر ، وطال اللقاء لثلاث ساعات . . . ثم افترق الرجلان . . . ولم يعرف الناس شيئا إلا ما أعلنه تشيمبرلين قبل أن يركب الهواء ثانية بأنه سيعود إلى ألمانيا مرة أخرى ، وأن الهر هتلر سيحتمل عنه بعض العبء فيجيب إلى منتصف الطريق . . .

وبات الناس حيارى هل سيجيء هتلر إلى منتصف الطريق في كل شيء ؟ ؟ وكان بين الاجتماعين مدة قد تصل إلى أسبوع ، ولكنها مع هذا كانت فترة مليئة بالحوادث ، فقد جاء مسيو ديلاييه ووزير خارجيته إلى لندن ، وقد تساءل الناس عن سبب هذا ، ولكن كان من الممكن إدراك السبب ، فإن تشيمبرلين في البيان الذي أدلى به في مجلس العموم ذكر أنه قال للفوهرر « إذا كنت قد اعترمت غزو تشيكوسلوفاكيا فلماذا تركتني أضيع وقتي سدا » فإذن يكون تشيمبرلين قد استدعى ديلاييه وزميله للنظر في اتباع سياسة خاصة جديدة قيل إن الدولتين قد اتفقتا عليها بعد أن درستا الموقف ، ولكن شيئا من هذا لم يعلن ، ثم عرف الناس كذلك أن اللورد رانسيان قد استدعى كذلك من براج ، وأنه قد أشار على الساسة الانجليز والفرنسيين بما وصل إليه نتيجة أبحاثه طوال فترة الوساطة بين التشك والسوديت ، هذه الأبحاث التي عرف فيما بعد أنه قد انتهى منها إلى شيء واحد هو أنه « مادامت هناك أشياء يجب أن تعمل فلتعمل بسرعة » . وكان رانسيان قد انتهى إلى ضم أرض السوديت إلى ألمانيا حتى دون تصويت . ولكن لما كان هذا لا يحل مشكلة الاحتكاك في وسط أوروبا فلتكن تشيكوسلوفاكيا سويسرة جديدة تتعهد لها الدول الكبرى بالدفاع عن كيانها ضد الاعتداء . . .

وأرسلت الوثيقة التي تحمل خلاصة قرار بريطانيا وموافقة الوزارة الفرنسية إلى براج . . . وهذه وثيقة لا يمكن أن يقال بأن شيئا على غرارها قد حدث في السياسة الدولية من قبل ، لأنها تطلب من الحكومة التشكية أن توافق طائعة مختارة أن تنزل عن تحصيناتها ومناطقها الحيوية من أجل السلم في أوروبا . . . وهو سلم كان لزاما أن يعرف الساسة الأوروبيون أنه لن يتحقق .

ولم تكد هذه المقترحت تصل براج حتى جمع الرئيس بنيش مجلس الوزراء

لجلسة طالت حتى منتصف الليل . . . ، كان وزراء تشيكوسلوفاكيا يواجهون أخطر مشكلة يمكن أن تواجه أمة . . . مشكلة واجهها الدكتور شيشونينغ قبل شهر قليلة ، هل يضحون أنفسهم من أجل سلامة أوروبا . . . أو يقاتلون وحدهم . . . وللنهاية . . . ؟ وهي مشكلة قد زاد من تعقدها أصلا تشجيع أولئك الأنصار الذين كانوا يحرصونهم على المقاومة ، ولكنهم الآن يقفون وحدهم دون هؤلاء الأنصار . . . ، فماذا يمكن أن يفعلوا . . . ؟ وهم لا يستطيعون أن يستندوا إلى أن معاهدة قد وقعت بين تشيكوسلوفاكيا وألمانيا غداة ضم النمسا . . . فلم يعد هناك وقت يسمح بهذا ، والكفاح ضد عامل الوقت مسألة لا يحسنها من يواجه الألمان إلا إذا كان وافر العدة والعدد . . .

وجاء الحادي والعشرون من سبتمبر بجديد . فقد استدعى الوزراء من فرسهم في الخامسة صباحا إلى مبنى رئاسة الجمهورية ، ولم يكونوا أول من ذهب فإن سفير بريطانيا وفرنسا كان قد ذهبا قبلهم بساعتين للإلحاح على قبول المقترحات الإنجليزية . . . فكانت سياسة قد بيتت بليل . ولم يجد الوزراء مناصا من التسليم . . . ولا يمكن أن نعقب على هذا بأكثر مما قاله لويس بريند في تسجيله لحوادث عام ١٩٣٨ : « وفي هذه الساعة المؤلمة لم يذكر اسم فرنسا وبريطانيا بأى احترام على السنة الجماهير من الرجال والنساء في طرقات براج » .

وفي تلك الليلة استقال مسيو هودزا وخلفه رجل عسكري هو الجنرال سيروفي الرجل الذي فقد إحدى عينيه في القتال ، والذي قاد اللواء التشكي إبان الحرب العالمية الأولى في القتال وسط سيبيريا .

وحملت الطائرة مستر تشيمبرلين مرة أخرى إلى جوديسبرج على الرين ، ولكن تشيمبرلين صدم بقسوة قال عنها في مجلس العموم (ولست أستطيع أن أقول بأن المر هتلر كان متعمدا خداعي ولكن عند ما ذهبت إليه قال إنه لم يكن متوقعا أنني سأستطيع العودة إلى جوديسبرج ثانية . فلما بدأت بحث المقترحات التي أحملها معي قال بأنه لا يستطيع الموافقة عليها ، وأن مقترحات جديدة يجب أن توضع بدلها) وفي الصباح التالي لم يترك تشيمبرلين الفندق الذي يقيم فيه ، بل بعث برسالة إلى الفوهرر . وجاء رد العاهل الألماني متأخرا ، ثم لم يكن مرضيا بالرغم من أن

سفير بريطانيا في برلين والسير هوراس ويلسون مستشار تشيمبرلين كانا قد ذهبا للقاء المرفون ريبينتروب ، وساد القلق جو جوديسبرج . . . ولكن للمرة الثانية بدأت المفاوضات في العاشرة ليلا . . . ، وطال الاجتماع لثلاث ساعات متوالية في جو مكفهر ، فقد جاءت الأنباء بأن تشيكوسلوفاكيا أعلنت التعبئة لبعض الطبقات وهمس الناس في العالم كله « هل هي الحرب » ؟

واتصل مستر تشيمبرلين بالهوايت هول في لندن تليفونيا . ومرة ثانية في السادسة والربع من مساء الجمعة ٢٣ سبتمبر بعثت الحكومتان الفرنسية والإنجليزية إلى حكومة براج أنهما لا تستطيعان استمرار إشارتهما عليها بالترهيب . . . ولكنهما لا يستطيعان أن لا توصيها باتخاذ التدابير العسكرية . . . وترجم الجنرال سيروفي هذا بأكثر مما يبدو في معاني الكلمات فأعلن التعبئة العامة . . .

وكانت هناك أيضا العلام التي تدل على دقة الموقف فقد أمرت فرنسا في الساعة الرابعة من مساء الثالث والعشرين بتعبئة جزئية ، وسارع رئيس هيئة أركان الحرب الفرنسية إلى لندن للتفاهم على المسائل العسكرية التي تهتم الدولتين . وبالرغم من أنه كان معروفا أن الرجلين لم يتفقا على موعد قادم فإن تشيمبرلين طلب من الفوهرر أن يقدم له مقترحاته كتابة مع مصورة توضح مدى هذه المطالب ، ولعل هتلر كان متوقعا هذا لأنه لأول وهلة قدم له مصورة تشيكوسلوفاكيا . وقد وضحت فيها مناطق السويد مع صورة كاملة من الاتفاقية التي وسمت بعنوان « اتفاقية جوديسبرج » ، وقد يمكن أن تجمل مقترحات هتلر في :

(إخلاء حكومة تشيكوسلوفاكيا لكل المناطق التي يسكنها أكثر من خمسين في المائة من السويد الألمان ، على أن تحتلها القوات الألمانية في اليوم الأول من أكتوبر) .

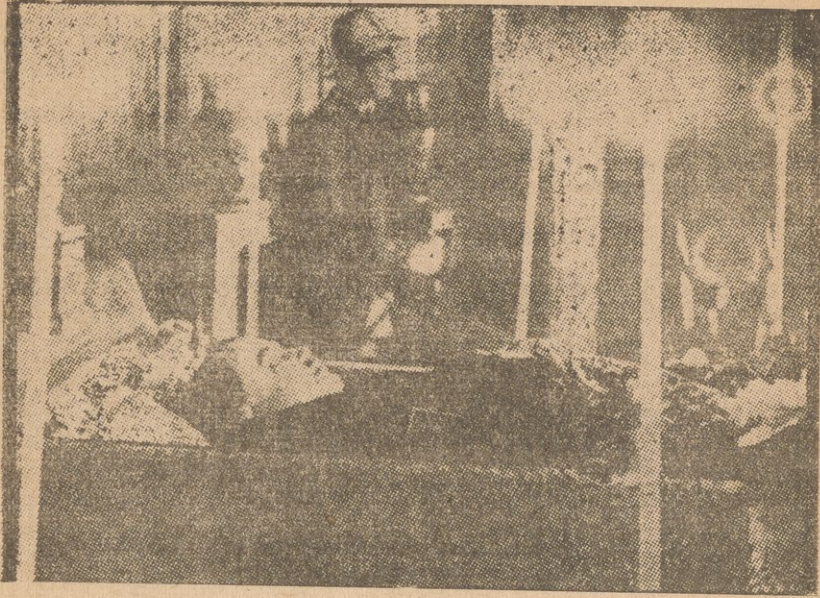
(تعيين الحدود بعد القيام بتصويت عام في نوفمبر على أن تتولى هذا إما لجنة تشكية — ألمانية . أو لجنة دولية) .

(تقرر تبعية بعض مناطق أخرى تبعا لتصويت عام ، ولكن هذه المناطق تظل القوات التشكية تحتلها حتى انتهاء عملية التصويت) .

(تسحب القوات الألمانية والتشكية خارج تلك المناطق حتى تتم عملية التصويت)

(باقى التفاصيل يمكن أن تقرر تبعا لما تبخته اللجنة التشكية — الألمانية) .

الرجل الذي كان يستطيع إيقاف هتلر



ديلفوس على فراش الموت

ولم تكن المذكرة التي قدمها هتلر تقل عن إنذار باقتراب الحرب ، وقد بعث تشيمبرلين بهذه المقترحات إلى حكومة براجدون أى تعليق ، وكان رد حكومة براج الرضى التام .

وفي مساء الاثنين الخامس والعشرين من سبتمبر تكلم هتلر فمنح العالم الذي كان ينصت لحديثه خمسة أيام أخرى لإجابة مطالبه .. ، ولم يحدث هذا شيئاً من الجزع ولكن تدابير الدفاع ضد الجو والغاز كانت تسير بسرعة الحمى ، ودعيت في بريطانيا القوات الاحتياطية للدفاع الجوي ، ونقلت المدارس إلى الأرياف كما أخليت بعض المستشفيات من المرضى استعداداً للطوارئ ..

وفي مساء السابع والعشرين من سبتمبر تحدث مستر تشيمبرلين للعالم كله في المذيع ، وكانت أروع وأقوى جملة في حديثه كله قوله (ولكن إذا كانت هناك أمة تريد السيادة على العالم بإخافة الناس من قوتها فإننى أشعر من أعماق نفسى بأن هذه الأمة يجب أن تقاوم) — وطلب مستر تشيمبرلين في ختام حديثه أن يتقدم كل فرد بخدماته للدفاع الوطنى ...

ولم يكدر رئيس الوزراء يتم حديثه حتى أعلن المذيع نص الأمر القاضى بالتعبئة العامة للأسطول البريطانى ..
وعندما عزف النشيد الأهلى « حفظ الله الملك » حبس الناس أنفاسهم فقد كانت الحرب تتمثل لأعينهم .



وعقد مجلس العموم البريطانى جلسة عاجلة فى اليوم التالى ألقى فيها تشيمبرلين بيانا طويلا ، وقد توقف عن الحديث عند ماشوهد مسترجون سيمون وهو يقدم له قصاصتين من الورق ، وقرأ تشيمبرلين القصاصتين ثم أردف قائلا (ولدى الآن شيئا آخر يمكن أن أزيدكم به علما فان المر هتلر قد وافق على إيقاف التعبئة العامة وأنه قد قبل عقد مؤتمر رباعى لبحث الأمر — وتابع تشيمبرلين حديثه فى صوت هادىء — وقد أخطرت كذلك بأن المر هتلر يدعونى لمقابلته غدا صباحا فى ميونيخ كادعا السنيور موسولينى ومسيوديلاديه ، وقد قبل موسولينى الدعوة وما أظن ديلاديه إلا موافينا هناك) وقوبل هذا التصريح بدهشة .. ، كانت مفاجأة للنواب بل ومفاجأة للعالم كله ... ،

ولكنها لم تكن مفاجأة لتشيمبرلين لأنه كان يعلم منذ الساعة الواحدة بعد الظهر أن هتلر قبل عقد هذا المؤتمر الذي اقترحه موسوليني عند ما طلب تشيمبرلين منه أن يتدخل في الأمر .

ولكنها السياسة

واجتمع الأقطاب الأربعة فضحوا تشيكوسلوفاكيا . . وأتقدوا السلم في أوروبا لعام كامل .. ، ولكن الثمن على أية حال كان غاليا ، وقد وقف الناس عند ما واجه تشيمبرلين العاصفة في مجلس العموم لا يذكرون حتى الترحاب الذي قوبل به الوزير الأول بعد عودته من ميونخ حاملا مظلمته السوداء . . . ولكن مع هذا فاز تشيمبرلين بأغلبية ٣٦٦ صوتا ضد ١١٤ صوتا وامتنع عشرون نائبا من مقاعد الحكومة أن يعطوا رأيهم ... وكانت اتفاقية ميونخ كالاتي :

« تكون عملية الإخلاء في خمسة مراحل بين اليوم الأول واليوم العاشر من شهر أكتوبر ، والمنطقة التي يتم احتلالها في الأربعة أيام الأولى هي المناطق التي كل سكانها من الألمان ، أما حد المنطقة التي تحتل حتى يوم ١٠ أكتوبر فتحددها لجنة دولية » .
« كل المناطق التي سيقدر أمرها بالتصويت تحدها اللجنة الدولية وتحتلها قوات دولية » .

« تتعهد فرنسا وبريطانيا بحماية تشيكوسلوفاكيا وتنضم لهذا التعهد ألمانيا وإيطاليا بعد أن يتم إقرار مشا كل الأقليات البولندية والمجرية » .

ولم تجن تشيكوسلوفاكيا شيئا من تدخل فرنسا وبريطانيا ، بل كان عليها أن تترك التحصينات الدفاعية كما هي سليمة ، وحتى المدافع التي كان لزاما أن تطلق قنابلها على الألمان تترك لهم .. »

والغريب أن يقال بأن تشيكوسلوفاكيا قد أخذت هذه المناطق على خمسة مراحل في عشرة أيام ... ، وكان هذا على ما جاء في خطاب مستر دوف كوبر الذي ألقاه في مجلس العموم غداه استقالته من عمله كوزير للبحرية بأن هذه المراحل هي السرعة التي لم يكن الجيش الألماني يستطيع أن يسير بها في تشيكوسلوفاكيا لو كان قد حاول غزوها ...

واستطاع المهر هتلر أن يدخل أرض السويد غازيا .. ، ولم تكن هناك حاجة للتصويت بل أن القوة الإنجليزية التي أريد إعدادها كقوة دولية قد بدا أن لا ضرورة لها .

☆☆☆

وكل ما حدث يوم الجمعة — الشيء الذي يقولون عنه إنه سلم — هو في الواقع انحناء للعاصفة بأى ثمن ...

ولو تكن اتفاقية الدول الأربعة وثيقة سياسية ولا حتى معاهدة دولية ، بل كانت قصاصة جميلة من الورق خط فيها إقرار بالتسليم قبل أن تعلن الحرب . والغريب أن اتفاقية ميونيخ قد تناست أو أغفلت المئات والألوف ممن ليسوا بألمان أو ممن لا يدينون للنازية بالولاء ولكنهم يعيشون في المناطق التي يحتلها الألمان .. ، ولم تتضمن هذه الاتفاقية أيضا أية تعهدات للدفاع عن أرواح هؤلاء الناس أو ممتلكاتهم ، بل ولم توجه أية ملاحظة ولو بسيطة إلى المصالح المالية والصناعية، وكان هذا هو أبسط قواعد المنطق والعدالة ...

وكان على أولئك الذين لا يريدون البقاء في المناطق التي شملها التصويت أن يتركوها في مدى ستة شهور .. ، والغريب أن معاهدة فرساي المعاهدة التي وجهت إليها شتى ألفاظ التهجم كانت قد أعطت الألمان الذين يعيشون في تشيكوسلوفاكيا نفسها عام ١٩١٩ عامين ليفكروا في الناحية التي يريدون البقاء في ظل التبعية لها .. ، فإذا اتهموا إلى قرار بالرحيل إلى ألمانيا منحوا اثني عشر شهرا لتصفية أعمالهم وحمل كل ما ينقل أو يمكن أن ينقل من ممتلكاتهم حتى الآلات الصناعية دون أن يدفعوا عليها ضرائب جمركية أو ضرائب كسب العمل لا في تشيكوسلوفاكيا عند تركها ولا في ألمانيا عند دخولها .

وقد كتبت معاهدة فرساي بعد خمسة شهور مضت في بحوث فنية دقيقة ، بحوث دعى لأجلها الاخصائيون للمشاورة كأخصائيين لا كوطنيين تعينهم مصالح أوطانهم ، ولكن في يوم واحد هو يوم الجمعة الأخير من سبتمبر عام ١٩٣٨ قسمت تشيكوسلوفاكيا بواسطة أربعة رجال وفي أربع ساعات دون أن تسمع كلمة واحدة من الدولة التي اجتمعوا ليقرروا مستقبلها ... وكان يسود جمعهم قانون واحد هو قانون النازي .. ، أربعة رجال لم يقطع أحدهم خطوة واحدة في أرض تشيكوسلوفاكيا ولم يعرف

شيئا عن حقيقة مشاعر أهلها . . . ، أربعة رجال لا يمكن أن يتفاهموا على أساس التحدث بلغة واحدة اللهم إلا موسوليني الذي كان وحده يستطيع التكلم إلى الثلاثة الباقين ، ولكنهم كانوا يتفاهمون بواسطة مترجم ألماني ، وقد استندوا في مناقشاتهم إلى تقرير رجل واحد هو اللورد رانسيان ، رجل لم يكن قبل شهرين اثنين قد قضى لحظة واحدة في أرض تشيكوسلوفاكيا ، ومع أن تقرير رانسيان قد أشار بضم أراضي السويد إلى ألمانيا إلا أنه قد أنكر تماما بأن أى اعتداء أو إرهاب قد حدث لأهالي السويد ، كما القى كل اللوم لقطع المفاوضات على عاتق الألمان ، وكما قرر أنه عند ما وصل إلى تشيكوسلوفاكيا كان هناك آلاف من السويد الألمان تواقين إلى البقاء تحت حكم حكومة براج . . . ولكن هذا كله قد أغفل .

وكل هذا باسم السلم . . .

والسلم ليس هو عدم وجود حرب . . وإنما السلم هو الحالة الإيجابية لإقرار القانون . . . ، ولكن السلم الذي أوجدته اتفاقية ميونخ سلم لا ينطبق على قانون ولا يمكن الاحتفاظ به إلا على أنقاض القانون ، سلم أوجدته الديكتاتورية فلا يستقر إلا بالبقاء على هذه الديكتاتورية . .

يقول سبونزا « السلم هو فضيلة تسببها قوة الروح » ، ولم يكن سلم ميونخ بسلم دون أى نصر . . . لأن النصر كان في جانب هتلر . . ، والسلم الذي لافضيلة فيه ليس سائما بل هو بداية مشكلة لا تنتهى . . .

وقد كان؛ فان بولنده والمجر كانت لهما بدورهما مطالب بالنسبة للأقليات، وقد عملت بولنده بسرعة فضمت إليها تيسشين الغنية بمناجم الفحم مع ربع مليون من السكان . . . ، ثم طالبت بجزء آخر ، وراحت المجر تطالب بقطعة من سلوفاكيا وقطعة أخرى من روتوانيا، ولكن قبل أن تبحث اللجنة الإيطالية — الألمانية هذه المطالب كان الدكتور بنيش قد اعتزل منصبه في تشيكوسلوفاكيا وتركها لالا كما يترك الربان السفينة وهي وسط البحر العاصف ، بل لأن سلامة تشيكوسلوفاكيا من الناحية السياسية كانت تتطلب منه هذا الرحيل ، فقد كان هتلر يكرر دائما أن بنيش هو العقبة التي تحول دون تفاهم الشعبين .

وقبل أن تم الأبحاث الخاصة بالأقليات كان قد بدا بوضوح أن تشيكوسلوفاكيا قد

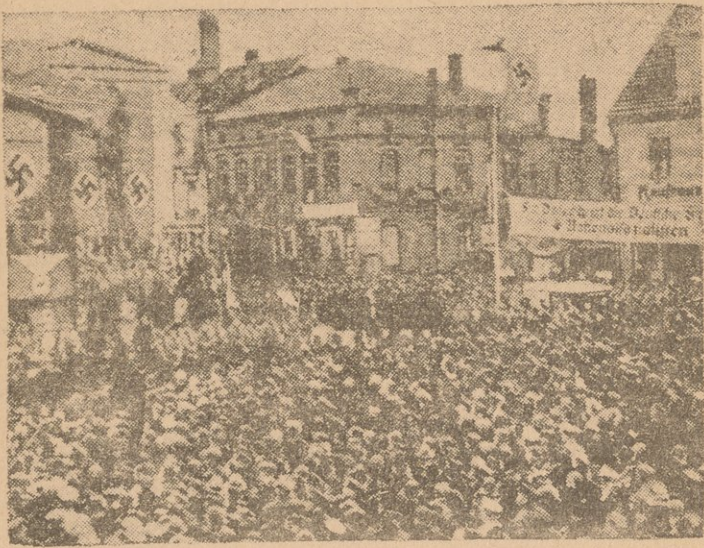
باتت محور الاتجاه الاقتصادي والسياسي الذي تسير ألمانيا عبره إلى جنوب شرق أوروبا ...

ومرت ثلاثة أشهر. وجاء عام ١٩٣٩ معه تجديد في القصة التي لم تكن قد تمت فصولا ، كان الرئيس هاشا قد خلف بنيش في رئاسة الجمهورية التشكية ، وكان كل شيء يبدو هادئا في ذلك الجزء من وسط أوروبا ، ولكن عملاء النازي كانوا يعملون ، وكان أولئك الذين يقرأون ما بين السطور يقولون بأن العاصفة لا تزال تأترة ... كانت تشيكوسلوفاكيا قد نفقت أيديها من الأقليات الأجنبية فقامت في أعقاب هذا مشكلة الأقليات الكبرى .. مشكلة العنصرية بين السلاف والتشك والرتوانيين .. وفي زعم هتلر أن الأمر يتطلب وضع حد .. على أساس استقرار صحيح من وجهة نظر الألمان .

وفي الثالث عشر من مارس بعث هتلر يطلب هاشا لمقابلته في برلين — وفي نفس اليوم أعلن الأب تيسو تكوين ولاية مستقلة من سلوفاكيا ... أمة في داخل أمة ، ودولة في قلب دولة ...

ولاسبيل إلى إعادة ما حدث بين الرجلين فقد كان صورة مما حدث به شيشونيغ لا من أعوام بل من شهور تعد على أصابع اليدين ، وأحنى هاشا رأسه للعاصفة .. وبعد يومين اثنين عرضت القوات الألمانية في خطى الأوزة وسط طرقات براج ... ولم تجد حكومة في أوروبا أي سبيل للاعتراض لأن الدولتين الغربيتين اللتين تتحدثان باسم الديمقراطية كاتتا قد أقرتا في ميونخ من شهور ستة شيئا من هذا باسم الإبقاء على السلم في أوروبا ...

ومرة أخرى لم يكن في هذا أي شيء من الحقيقة ... وكانت اتفاقية ميونخ قد وضعت الأساس لتمزيق الدول الصغرى لإرضاء النمر الذي لا يعاف أي فريسة .



شعب و صليب معقوف !!!

الذبيحة الأضحية

وجاءت بولندا إلى الوجود على أنقاض ثلاث امبراطوريات كانت قد اقتسمتها فيما بينها في وقت ما ، وكانت هذه الحدود السياسية التي تحيط بها قد نظمت جزئيا في معاهدات عام ١٩١٩ ، ثم تمت فصولا في اتفاقية ريجنا التي جاءت في أعقاب فرساي وبعد عامين منها ، وكان من الخطأ أن يقال بأن تكوين بولندا والجمهوريات الصغرى الأخرى التي حولها إنما جاء صناعيا وقد قامت به الدول الكبرى لأغراض سياسية ، لأن هذا التكوين الاستقلالي لهذه الجمهوريات إنما جاء وليد حقوق الأهلين في كل منطقة ، الحقوق السياسية والاجتماعية ، ثم إلى أبعد من هذا الحقوق الاقتصادية .

ثم إنه كان من المتوقع أن ترضى تلك الامبراطوريات الثلاث بكل ما حدث ، فان امبراطورية النمسا والمجر كانت قد انتهت من الوجود ، وبذلك لم تكن هناك أية مشكلة من هذه الناحية ، وكانت روسيا السوفيتية شيئا آخر غير روسيا القديمة . ، وهي لا تعتبر وريثة لها بحكم انصرافها إلى آراء ومعتقدات جديدة دون أن تعنى بسياسة تملك تبعها لعنايتها بالتطورات الداخلية التي تشغلها ولا ريب عن الاعتداء ، ثم إن اتفاقية ريجنا كانت تتضمن الأسس التي تصلح لإيجاد علاقات حسنة بين الدولتين وإن كان من غير المنطق أن يقال بأن روسيا كانت راضية مقتنعة بكل شيء ، ولهذا فقد مرت بعض أعوام دون أن يتواجد بين موسكو ووارسو أى شيء أكثر من هدوء بارد . . . ، والسوفييت ينظرون إلى بولندا وكأنها الحد الخارجي للرأسمالية بينما ينظر الآخرون إلى روسيا باعتبار أن أى توجيه لجهودها الشيوعية يجب أن يمر عبر أراضيها في اتجاهها للغرب .

ولكن المشكلة الحقيقية كانت من الجهة الأخرى من ناحية جمهورية ويمر (ألمانيا) التي كانت تلح لمحاولة تعديل الحدود ، هذه الحدود التي توجه وحدها

النظر إليها بسبب فصل بروسيا الشرقية عن الريخ ، ثم هذا المعر الذي يؤدي ببولنـدة إلى البحر ، ولم تكن بولنـدة تخشى هجوما مفاجئا من الجانب الألماني بقدر ما كانت تخشى التماثل في الآراء بين برلين وموسكو ثم هذا التعاون الواضح بين هيئتي أركان الحرب في جارتها القويتين . . . ، وبقى هذا الخطر يتأرجح بين الاستتار والظهور حتى عام ١٩٣٣ عند مجاء الاشتراكيون الوطنيون إلى الحكم .

على أنه في طوال هذا الأمد لم تكن سياسة بولنـدة واضحة لأن البولنديين أنفسهم كانوا في حاجة أولا إلى أن يعرفوا بعضهم البعض ، ثم لأنه عند مجاء السلم وجاءت عصبة الأمم التي يعتقد البولنديون أنها (النظام الجديد لأوروبا) كان البولنديون لازالوا في حاجة إلى الوقت ليعرفوا أين تقف الأمور . . .

والواقع على أن سياسة بولنـدة الخارجية وعلاقتها بجيرانها إنما أملاها مركزها الجغرافي وهذه مسألة من الصعوبة بمكان ، وما لم تتوفر حسن النية فلا يمكن بسبب تعرضها — أن تعيش بمنجاة من القلق المستمر .

وسواء أ كان صوابا أم خطأ فإن بولنـدة قد اعتقدت أن عصبة الأمم يمكن أن تكون الآلة المحركة التي يمكن أن توجد نظاما دوليا لا يستند إلى القوى العديدة والتسليح بل إلى قوة العقل والروح ، وفي الوقت الذي آمنت بولنـدة بهذا لم تكن أي من الدول القوية تؤمن بشيء مثل هذا ، كانت كل من فرنسا وبريطانيا تعمل في اتجاه خاص ، وتركت اليابان مبنى العصبة إلى غير رجعة ثم تركته في أعقابها ألمانيا ، وبدا أن العصبة لا يمكن أن تملئ إرادتها على الخارجين على القانون وبدا أن سلطات جنيف تتضاءل ، ولهذا كان لزاما على بولنـدة أن تعمل بوحى رأيها الخاص وأن تستند في كل هذا إلى قوتها .

وكانت بولنـدة من البداية قد اعتبرت نفسها سياسيا وجغرافيا أمة من أمم البلطيق لامن أم حوض الدانوب ، فبال الكربات تفصل بينها وبين الأخرى ، هذا عدا أن جزءا قليلا منها هو الذي كان أصلا من امبراطورية النمسا والمجر ، ولهذا كانت محقة يوم أن لم تشترك في الحلف الصغير ، وعقدت بدلا من هذا حلفا مع فرنسا ثم آخر مكلا مع رومانيا . . . ، وفي طوال هذا بدأت مفاوضات ودية مع الجمهوريات الصغرى في إقليم البلطيق انتهت في مارس عام ١٩٣٨ بأن تناسلت ليتوانيا أوجه الخلاف الماضية وتمشت مع المجموعة كلها في أغراضها السلمية .

على أن الحلف مع فرنسا لم يكن مرضياً للسياسة البولندية .. فرجال « كوى دورساي » كانوا لا يعتبرون بولندا شريكة على قدم المساواة ، وتلطف أحد السياسيين الفرنسيين فقال « أما بالنسبة لبولندا فنحن نحملها بين ذراعينا » وعند ما تطورت السياسة البولندية عام ١٩٢٦ توقفت بولندا عن متابعة تلقي الأوامر من باريس . . . على أن الهدوء القوي الذي أعقب لوكارنو وإن كان قد قلل من القلق على الرين لم يذكر شيئاً عن أي مكان آخر . ، ولم يكن في العالم من يهتم بما يمكن أن يحدث على الفستيولا ، وتبعاً لما حدث في فرنسا انصرفت السياسة الألمانية نحو بولندا لتكون أقرب إلى الصورة العدائية من أي شيء آخر ، وهكذا ضاع هباء كل الغزل السياسي الذي كان بين بريان وستريسمان كما ضاعت خطط الدول الأربعة الكبرى ، وكان اجتماع الحلف الصغير وبولندا في صورة واحدة يحمل صرخة واحدة هي « بدوننا .. ولا شيء عنا » .

وكان هذا كله يثبت آراء بلسوديسكي ويقوى من معتقداته وبات من الضروري أن تبدأ بولندا بأعداد جيش وطني قد تحتاجه يوماً ما للحياة اللازم تبعاً لوقوفها بين جارتين قويتين تقف كل موقف الخصومة من الأخرى ، ورأى بلسوديسكي أن سياسة بولندا الخارجية تتطلب تعديلاً جديداً فاستبدل وزيره زاليسكي عام ١٩٣٢ بالكولونيل جوزيف بيك الرجل الذي أشرف هو نفسه على إعداده . وفي بداية التطورات عقدت معاهدة عدم اعتداء بين بولندا والسوفييت في ضوء اتفاقية بريان — كيلوج ، وكانت هذه المعاهدة إحدى الدعامات التي أقيمت السلم والاستقرار في أوروبا لسبعة أعوام متوالية .

على أن ألمانيا عندما صعدت خديها للعصبة لم تعش في عزلة وسرعان ما انتهر بلسوديسكي الفرصة ، ثم كانت مفاوضات كانت بولندا طوالها تمسك بخير الأوراق الراجعة .. ، وانتهى الأمر بالتصريح التاريخي الذي يحمل رقم اليوم السادس والعشرين من يناير عام ١٩٣٤ وفيه أكدت ألمانيا رضاهما بالحدود القائمة بين الدولتين وفرضت أمداً طوله عشرة أعوام تكون أي حرب فيها بين الدولتين مسألة غير قانونية ، ثم أكدت أن أي خلافات بين الدولتين يجب أن يتم حلها بمفاوضات سلمية بينهما ، وكان هذا الحلف من الحوادث القليلة التي فوجيء بها الناس منذ الحرب

العالمية الاولى ، حتى أن الكتب التي كانت في دور الطباعة وكان يتحدث عن أن داتنج ستكون سبب الحرب العالمية الثانية قبل مرور ثلاثة أشهر كان لزاماً أن تسحب من المطابع لتمر بها أقلام المؤلفين مرة ثانية . . . ، وكان كسب بولنده كبيراً فإن محاول زاليسكي في أعوام كثيرة أن يتمه قد انتهى إلى أن بات حقيقة واقعة ، ولكن فرنسا كانت غاضبة . . . ولم تدفع بولنده ماوجه إليها من نقد بأكثر من أنها حاولت عبثاً أن توجه نظر فرنسا إلى الخطر الذي يتعرض له السلم في وسط أوروبا ، وأنها بعد أن لبثت طويلاً تحديق بلا نتيجة في لندن وباريس كان لزاماً عليها أن تعمل وحدها من أجل مصالحها . . . ، وقد أنكرت بولنده أن التصريح يحوى بضعة فقرات أخفيت عن أن تعلن للناس . . . ، وكان المدهش حقاً أن تكون بولنده طرف مشترك في معاهدة مع روسيا من جانب وفي اتفاقية مع ألمانيا من جانب آخر . . .

وجاء عام ١٩٣٤ بالمتاعب في النمسا ثم مقتل ديلفوس ، وبدأ أن مطامع ألمانيا الهجومية ستتجه جنوباً في حوض الدانوب بدلاً من أن تتجه شرقاً نحو بولنده ، وجاء مارس ١٩٣٥ بإعلان الألمان عدم اعترافهم بفرساي وأنهم سيسلحون جيشهم من جديد ، وفي ربيع عام ١٩٣٦ احتلت القوات الألمانية أرض الرين ، فبدأت بولنده محادثاتها مع حكومة باريس قائلة « لو كنتم قد اعترزتم الحرب فنحن معكم ، ولكن لو كنتم ستبدأون مفاوضات فاتركونا نتابع سياستنا الخاصة » ، وفي ذلك الوقت لم تكن في أوروبا كلها حكومة واحدة تدرس خطط النازي في صورة أقرب إلى الحقيقة مما كانت تدرسه به حكومة شارع ويز بوقا في وارسو .

وفي خريف عام ١٩٣٦ زار المارشال سيمجلى ريتز باريس في زيارة رسمية كما فعل سلفه منذ أربعة عشر عاماً من قبل ، وفي هذه الزيارة جدد الحلف الفرنسي — البولندي كما عقد قرناً لبولنده لتتمكن من تجديد جزء كبير من جيشها في صورة تماثل العصر ، وفي هذه الزيارة أيضاً درست بعناية خطة الدفاع عن حدود بولنده الغربية ثم عدلت هذه الخطة . . . ولكن مع الأسف أنها عدلت طبقاً لتكتيكات القتال البطيء . . . بل ولم تضع موضع التقدير حتى ما كان يبدو في المناورات الألمانية ،

ولهذا عندما طبقت أولى أصول الحرب البرقية لم تكن هذه الخطة التي وضعت في باريس صالحة للوقوف على قدميها لأكثر من ثلاثة أسابيع .

وكان احتلال الألمان للنمسا في مارس عام ١٩٣٨ حافزا لبولندا لترسل إلى ليتوانيا إنذارا لايعنى الحرب بل السلم لضرورة فتح الحدود المغلقة بين الدولتين ، وكان لهذا الإنذار أثره في إيجاد جو جديد في هذا الجانب من أوروبا .

ثم كانت أزمة تشيكوسلوفاكيا... وأدلت حكومة وارسو بدلوها في الإناء فاستطاعت في آخر لحظة أن تحول بين الجنود الألمان وبين استعباد مائة وعشرين ألف بولوني ، وأنقذت مسافة خمسين ميلا من سكة حديد وسط أوروبا من أن تقع لقمة سائغة في يد الألمان ...

على أن الموقف الجديد في تشيكوسلوفاكيا كان أيضا قد جاء بموقف جديد بالنسبة لبولندا ، فقد باتت محاطة بألمانيا النازية لامن الشمال والغرب بل وأيضا على طول الحدود الجنوبية ، ثم إلى أبعد من هذا فإن الطريق إلى رومانيا وإلى البحر الأسود قد بات مفتوحا في وجه الألمان . ، ولإيقاف هذا بدأت المفاوضات بين المجر وبولندا ، هذه المفاوضات التي انتهت إلى إيجاد حدود مشتركة بينهما على الجانب الشرق لجبال الكربات حيث يمكن أن يوقف أى تقدم الماني إلى شمال رومانيا أو إلى حقول القمح في أوكرانيا .

على أن موقف بولندا - وإن كان أولئك الذين يقيمون الشرق الفستيو لا قد ارتضوه . فإن أولئك الذين يقيمون غرب النهر - وهم أكثر معرفة بالألمان من غيرهم - كانوا يهزون رؤوسهم لأنهم لا يثقون بشيء . . . ، وإذا كان الوزير بيك يمكن أن يكون عرضة لأي نقد فهو أنه كان أقل سياسي أوروبا كلاما ، الأمر الذي كسب له لقب « أبو الهول » ، وقد لا يكون هذا مؤسقا في وقت كانت كثرة الكلام متعبة للناس مجهدة للأعصابهم ، ولكن الواقع أن بولندا كلها كانت تأسف لانقسام أوروبا إلى معسكرين وكانت لاتود حقيقة أن تساهم في أيهما ، ثم هي لم تضم إلى الحلف الفرنسى - الروسى - التشكى لأنها لم تكن تود أن تعطى الألمان

فرصة التحدث عن التطويق الجغرافي ، وكان كل ماتطلبه بولنדה من جيرانها كلهم هو أن يعاملوها على قاعدة المساواة السلمية والصداقة لاعلى قاعدة الخصومة المستورة بألفاظ جوفاء، وكان لها كل الحق في غمرة هذه الروح أن تعتقد بأن أى شىء يمكن أن ينشأ عن الموقف فى دانزنج أو عند مصب الفستيولا لن يكون خطيراً بل يمكن حله فى ضوء الروح السلمية ...

وجفأة دق الناقوس ...

وفى الثامن والعشرين من إبريل عام ١٩٣٩ أعلن هتلر أنه قد رفض يديه من الاتفاقية البحرية مع بريطانيا ، ومن حلف العشر سنوات مع بولنדה ، وكتب هتلر بذلك سطرأً جديداً فى سجل التاريخ . . ، ودخلت الأمة البولندية — من الناحية النفسية على الأقل — فى عهد جديد بالنسبة لعلاقتها بالدولة المجاورة ، فقد كشف الستار وحسر القناع عن حقيقة قديمة هى أن بولنדה والمانيا لايمكن أن تعيشا معا كجارتين متالفتين ، ولكن الكثيرين كانوا يقولون بأن المسألة كلها لاتعدو مناورة من هتلر فهو لا يمكن أن يجازف بالحرب ، وبقيت حكومة وارسو بين هؤلاء وهؤلاء ترقب كل التحركات فى لوحة الشطرنج العالمى ...

وبدت حقيقة نوايا الألمان بالنسبة للشعوب غير الألمانية التى فى وسط أوروبا ، فهؤلاء يمكن أن ينالوا استقلالاً اقتصادياً وثقافياً ، ولكن لا أكثر من هذا ، ولا يمكن أن تكون لأية أمة فى وسط أوروبا علاقة سياسية بدولة أخرى مالم يتفق هذا مع رأى حكومة برلين ، وقد رفض التشك الانصياع لهذا فحق عليهم أن يهتملوا الغرم كله ، وجاء دور بولنדה واعتبرت زيارة بيك للندن عملاً عدائياً للرينج الثالث ، وهكذا كان حكم المانيا على قصاصة الورق التى تحمل تاريخ يناير ١٩٣٤ ، وكان حكم العالم كله بأن زعماء الأمم لم يعد من سبيل للوثوق بهم .

وعرف الناس فى العالم كله ما أجاب به بيك فى السابع من مايو ردا على المهر هتلر .. فقد ذكره بأن لكل الناس حق البقاء كما للألمان . . ، وقد ركل فرد درجة هذه المخاطرة ، ولم يتردد بولندى واحد حتى من العشرة ملايين الذين ليسوا بولنديين ولكنهم يعيشون وراء حدودها السياسية فى أن يوافق على إجابة الكولونيل بيك ،

ووقفت الأمة البولندية من كل الطبقات وقفة رجل واحد .. ووصل القرض الأهلى للدفاع الجوى إلى أربعائة مليون زلوتيس أى ثلاثة أضعاف المبلغ الذى كان مقدراً لتغطيه القرض ، وكانت الحوادث بدورها تمر بسرعة فقد زار وارسو الجنرال راشكيتس القائد العام لقوات ليتوانيا كما زارها الرفيق بوتيمكين وزير خارجية روسيا .

على أن مشكلة دانزينج نفسها لها تاريخ .. ، وأى شىء يمكن أن يكون له تاريخ إن لم يكن لدانزينج تاريخها ، ففي مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ قيل بأن دانزينج يجب أن تترك لبولندا ، ولكنها بدلا من هذا جعلت مدينة حرة فى غمرة الرغبة للوصول إلى حل وسط بين مطالب الألمان ومطالب البولنديين ، والواقع أنه لولا التدخل المستمر من حكومة برلين لأمكن أن يتوفر فيها تعاون دائم لمصلحة البلدين ، والوضع الجغرافى نفسه يقول بأن دانزينج هى الميناء الطبيعية لكل الأرض الداخلية ولكنها مع هذا كانت — حسب الوضع السياسى — جزءا من المانيا ...

فإذا قيل وهل من الممكن التغلب على التقاليد القومية ؟ كانت الإجابة نعم ... فقط يجب إغفال ناحية واحدة من الأمر وهى سياسة القوة ، فإن المدينة يمكن أن تبقى لها صبغتها الألمانية من الناحية المادية والثقافية وفى الوقت نفسه تخدم مصالح الخمسة وثلاثين مليوناً من النفوس الذين يعيشون فى بولندا ، ولكنها لا تستطيع أن تقوم بهذا الدور لو ضمت إلى الريح النازى ، ذلك لأنها لو ضمت إلى المانيا النازية فإن الألمان سيسيطرون على المخرج الوحيد لبولنده إلى البحر ، ولو قيل بأن بولندا تقبل ضم دانزينج إلى الريح على شريطة عدم جعلها مدينة قوية ذات تحصينات يمكن أن تكون لها يوما ما خطورتها ضد بولنده كان هذا هراء .. ، وقد علمت التجارب بولنده ، أن لا تثق بشىء ومن أجل هذا نظمت ميناء جدينا لتحتل مع دانزينج أربعة أخماس تجارتها وابتاتما معا النافذة التى تطل بولنده منها على العالم الخارجى .

وقد عرف فيما بعد أن هتلر كاد يتبع دخول براج وإحتلال ممل بالاستيلاء على دانزينج لولا روح المقاومة التى كانت واضحة فى كل أعمال السلطات البولندية ، ومن ذلك الوقت والجيش البولندى كامل العدد والعدد طبقا لمرتب الحرب وهو أمر يكف

بولنڊه مليونا من الجنهات كل أسبوع، ولكنه عبء لم يكن أمام بولنڊه أى شىء آخر غيره لتتخير الأهون والأيسر، وكان الدفاع عن دانزنج قد ترك أصلاً لعصبة الأمم وهذه نزلت عنه لبولنڊه، وفي حالة أية متاعب كان عليها أن تعتبر دانزنج جزءاً من المر الذى يقودها إلى البحر .

وكانت مشكلة المر البولونى جزءاً من المشكلة العامة وهى ربط بروسيا الشرقية بألمانيا، وكما يعبر المر خط حديدى من الشرق إلى الغرب فهناك خط آخر من الشمال للجنوب، وقد دلت أرقام عام ١٩٢٩ أن حركة التجارة من الشمال للجنوب ثمانية أضعاف حركة التجارة من الشرق للغرب، ودلت أرقام عام ١٩٣٩ على نسبة أكبر فقد كانت جملة الحركة التجارية .

من الشرق للغرب وبالعكس ١٤٠٢٠٠٠ طن
من الشمال للجنوب وبالعكس ١١٩٠٠٠٠٠ طن

فإذا كان هتلر يكرر الاصطلاح الذى أوجده ويلسون من أنه لكل أناس أن يعيشوا في ظل الحكومة التى ترضيهم... فلماذا تناسى هذا بالنسبة للتشك والسلاف الذين يعيشون في تشيكوسلوفاكيا، وكانت حقوق بولنڊه ومصالحها في دانزنج والمر واضحة لكل ذى عينين .

وكنتيجة لهذا كله أعلنت بريطانيا أنها بالإضافة إلى أن حدودها الشرقية تقع على الرين الغربى... فإن حدودها تمتد إلى الفستيو لا أيضاً، وأن أى اعتداء على بولنڊه معناه الحرب .

ولكن الحوادث كانت بدورها تتوالى بسرعة وفي ختام مايو كانت تدور في موسكو مفاوضات لإيجاد حلف روسى - فرنسى - إنجليزى، ولكن المفاوضات توقفت لأن الروس أصرروا على الدفاع عن كيان دول البلطيق طلبت هذه الدول المساعدة أو لم تطلب، فقد كان الروس يذكرون ما قاله هندنبرج عام ١٩١٧ في مؤتمر بريست ليتوفسك عند ما سئل عن علة إصراره على الحصول على ولايات البلطيق (لأننى أحتاجها للمناورة التى يقوم بها جناحى الأيسر في الحرب القادمة) .

وفي أثناء هذا كانت العلاقات بين بولنده والمدينة الحرة تسوء فإن الأسلحة كانت تتسرب إلى المدينة ، ثم بدأت الصحف الألمانية حملتها بذكر الإرهاب أو الاضطهاد الذي تعيش فيه الأقلية الألمانية وأخذت تتحدث عن .

١ — محاولة بريطانيا الاحداق بألمانيا وإحاطتها بسور قوى من حلفائها .

٢ — إن ضم دانزنج للريخ لا يكفي بل يجب حل كل المشاكل البولندية بإرجاع حدود ألمانيا إلى ما كانت عليه عام ١٩١٤ .

ثم فوجيء العالم عند ما أعلن في يوم ٢١ أغسطس أن فون رينتروب وزير خارجية ألمانيا سيطيير إلى موسكو في الثالث والعشرين من أغسطس — أى بعد يومين اثنين — ليوقع معاهدة عدم اعتداء بين روسيا وألمانيا ، إذ كان الناس يعرفون أن في موسكو لجنة فرنسية إنجليزية أيضا .

فماذا كانت تعمل تلك اللجنة ؟

وفي الرابع والعشرين بدأت بولنده حشد قوات الاحتياطى ، وفي اليوم التالى تحدث هيس في المدياع فأعلن للناس أن خط سيجفريد لا يمكن أن يقتحم ولكن الألمان يعرفون كيف يمكن أن يقتحموا أى خط دفاعى، وأن ألمانيا لن تقتل جوعا سيما بعد أن وقعت المعاهدة الروسية الألمانية .

ثم كانت الطلقات الأولى في صبيحة سبتمبر عام ١٩٣٩ . . وكانت الحرب .

دماء في أسبانيا



رجال ورمال ...

الولايات المتحدة في مفترق الطرق

على أن اتفاقية ميونيخ (٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٨) كان لها صدى في النصف الغربي للعالم ، وكان لزاما أن يكون لها هذا الصدى لأن أوروبا قد بقيت لشهر كامل تتوقع الحرب في صورة لم تحدث من قبل منذ أن أوقف التراشق بالقنايل في الحادي عشر من نوفمبر ١٩١٨ ، وتحدث الوزير «هل» الأمريكي في اليوم التالي فلم يسرف في التفاؤل . بل صرح الناس بأن الأمر لازال في حاجة إلى زيادة الجهود للاحتفاظ بالسلم على أساس التعاون الودي بين الأمم .

وعاد الوزير هل في بداية نوفمبر فحذر الناس من أن العالم لا يعيش في مفترق الطرق ولكن قوة الاختيار لا تزال متوفرة في الأفراد ، وأن أحد الطريقتين المائتين أمام أعين الناس هو زيادة الاستناد إلى القوات المسلحة كوسيلة من وسائل السياسة الأهلية .. هذا الاستناد الذي يعني تضحية مطالب الفرد ... ، والذي يقلل من المستوى الاجتماعي والثقافي والروحي في الأفراد عند ما يقدر أن العقل والمنطق وضبط النفس لم تعد وسائل صالحة لتعاون البشر ، وأن كل شيء قد بات يتطلب الاحتكام إلى القوى المدمرة التي تفوق مدى التصور الإنساني . أما الطريق الآخر فهو الاستناد إلى حكم القانون البشري في العلاقات الفردية والدولية بين الناس كلهم ، الأمر الذي يمكن معه إطلاق القوى المنتجة كلها للعمل لتقدم الجنس البشري ، والتي تمكن هذا العقل البشري من الانصراف مرة أخرى إلى السلم .

وفي هذا الحديث وجه الوزير هل الأنظار إلى أنه ما لم يتوفر الامن الاقتصادي والتوازن السياسي بين الدول فلن تتوفر هناك أية علاقات منظمة تتمشي مع قواعد السلم بين هذه الأمم ... ، سيما وأن توقف التبادل التجاري بين دولة أو أكثر وباقي دول العالم إنما يؤدي بلا شك إلى أن تسيطر عوامل الشر على كل حقوق الأفراد في هذه

الأمم .. وبالتبعية يؤدي هذا إلى استعدادها للحرب بسبب الروح العدائية التي تتملكها بالنسبة لبقية دول العالم .

وجاء خريف عام ١٩٣٨ بعامل جديد هو ازدياد الضغط على اليهود في ألمانيا ثم في النمسا والمناطق التي استعادت لدولة الريح ، وفي الخامس عشر من نوفمبر أعلن الرئيس روزفلت (أنه لم يعد يستطيع أن يصدق بأن أشياء كهذه يمكن أن تحدث في القرن العشرين) — وبعث روزفلت يستدعى سفيره هوج ويلسون من برلين . فكان هذا إنذاراً للعالم كله بأن الولايات المتحدة قد بدأت تعنى بشئون الجانب الآخر من العالم ، وأنها قد باتت أقرب إلى أوروبا مما كانت من قبل .

وفي غمرة الإشاعات الكثيرة عن اقتراب أوروبا وآسيا من حرب جامعة تشترك فيها أمم كثيرة ... تابعت جمهورات أمريكا كلها جهودها لمحاولة تقبل الدول لأحكام القانون الدولي مع العمل لحماية أراضيها من الأخطار التي تكاد تسبب اشتعال النار في أوروبا .

وكانت الولايات المتحدة تنصدر هذه الحركة السامية باعتبارها زعيمة الجامعة الأمريكية في العالم الجديد .، وباعتبارها قاعدة التوازن الدولي في أية مشكلة أممية جامعة ...، وقد خطت الأمم الأمريكية خطوات موفقة في سبيل هذا في مونتفيدو عام ١٩٣٣ وفي بونس إيريس عام ١٩٣٦ ثم في ليما في ديسمبر عام ١٩٣٨

وفي المؤتمر الأخير قررت إحدى وعشرين جمهورية أمريكية أن تتعاون معاً في الدفاع عن كل الأصول التي جاءت في حديث الوحدة الأمريكية والدفاع معاً ضد أى تدخل أجنبي يهدد هذا التماسك في وقت السلم ، مع الدفاع عن أية جمهورية أمريكية تهدد بالحرب ، ولتيسير عملية المشاورة فقد تقرر أن يتقابل وزراء الخارجية للجمهوريات الأمريكية من حين لآخر .

وقد جاءت في التصريح الذي وقع مندوبو الاحدى وعشرين جمهورية أمريكية أصول لم تكن جديدة في العرف الدولي ، ولكن الجديد فيها أن العالم كان قد نسيتها وهي :

« التسوية السلمية لآية خلافات دولية »

« إغفال استخدام القوة كوسيلة لإقرار السياسة الدولية »

« احترام المعاهدات ونصوص القانون الدولي »

« التعاون السلمى مع التبادل الثقافى بين الدول »

« إعادة التنظيم الاقتصادى »

« التعاون الدولى »

وجاء عام ١٩٣٩ بجديد — وفى الرابع من يناير بعث الرئيس روزفلت إلى مجلس الكونجرس برسالته السنوية ، وفى هذه الرسالة تحدث عن الحرب التى تبدو فى الأفق ، وأن السلم العالمى ليس مضموناً ولا مؤكداً ، وأن العاصفة التى تعصف فى العالم كله عاصفة تحمل فى جوانبها أكبر تهديد اقتصادى عسكري للدول الآمنة .. ، ولا يمكن أن تعيش الولايات المتحدة آمنة وسط فلسفة العنف التى تطغى على العالم كله والتى قد تغزو المعتقدات الأمريكية ، ولهذا ليس من المنطق الانتظار (حتى نحاط بخصوم معتقداتنا) .

وكانت آراء الرئيس روزفلت قائمة على أساس أن العالم قد بات صغيراً وأن أسلحة الهجوم قد باتت مريعة بدرجة لا يمكن معها أن تبقى أى دولة آمنة مطمئنة إذا رفضت أى دولة أخرى أن تنهى مشاكلاً معها فى اتفاق ودى ، وتحدث الرئيس روزفلت كذلك متهمكاً بالأوضاع الماضية التى تقف فيها بعض الدول زاعمة حيادها التام فى الوقت الذى تعاون فيه أحد الجانبين المقاتلين وتحرم الجانب الآخر من كل شيء ...

ثم مرت أيام ثمانية وبعث الرئيس روزفلت برسالة أخرى يطالب فيها اتخاذ تدابير عملية لتقوية الدفاع عن الولايات المتحدة على أن يكون هذا وبأسرع ما يمكن ... ، وتقوية الوسائل الدفاعية حق دستورى للرئيس الأمريكى الذى يملك إعلان الحرب لو وجد لزاماً لهذا ... ، وخط الرئيس روزفلت أصول هذه السياسة الجديدة عند ما أجاز إنفاق نصف مليون دولار لتقوية الأسطول والجيش والسلاح الجوى ، مع العناية بمسألة الدفاع الجوى للقارة التى تمتد بين الاسكا وهواى وبورتوريكو ومنطقة قنال بنما ،

كما أوصى بزيادة تدريب مجموعة كبيرة من الطيارين للأسلحة الثلاث ، وقد اعتبر الجمهورى الأول أن هذه التدابير هي أقل ما يمكن أن يتمشى مع احتياجات الدفاع . . .

على أن حكومة الولايات المتحدة كانت إلى أبعد من هذا تفكر في ضرورة تخزين الكثير من المواد الخام ذات الأهمية الاستراتيجية التي لا تنتجها الولايات المتحدة أو التي يكون إنتاجها منها أقل مما تحتاجه في حالة الحرب ، وقد كشف التحقيق والبحث عن عدد من المواد الخام قد يتعذر استيرادها إلى الولايات المتحدة في حالة حرب عامة سواء أكانت الولايات المتحدة مشتركة فيها أو غير مشتركة . . . وقد وافق مجلس الكونجرس على إنفاق مائة مليون دولار لاعداد بعض المواد الخام اللازمة للدفاع ، كما استوردت الولايات المتحدة في يونيو ٣٩ مائة ألف طن من المطاط من الامبراطورية البريطانية على قاعدة التبادل التجارى ، أى أن تقدم قطنابدا من المطاط . وانتهى الهدوء الذى كان يسود جو أوروبا يوم أن احتل الألمان تشيكوسلوفاكيا في الرابع عشر من مارس . . . ، ثم في يوم الجمعة السابع من ابريل بعث موسوليني بفرق الفاشيست فاحتلت ألبانيا ؛ وكانت هاتان الصفتان كافيتين لأن تيقظا أوروبا من ثباتها العميق لادراك الخطر الذى يهدد السلم العالمى ، وأعلنت بريطانيا وفرنسا اعتزامهما الدفاع عن استقلال بولندة ورومانيا واليونان . . . ، ثم بدأت المفاوضات السياسية بين فرنسا وبريطانيا في جانب والروسيا في الجانب الآخر ، لانشاء جبهة متحدة ضد أى اعتداء جديد . . .

وفي الرابع عشر من ابريل بعث الرئيس روزفلت برسالتين شخصيتين إلى هتلر وموسوليني يذكرهما بأن مئات الملايين من سكان العالم يعيشون في خوف ورعب من إعلان حرب عامة جديدة ، أو قيام سلسلة جديدة من الحروب يقاسى فيها الناس على السواء الأمرين سواء أكانوا غاليين أو مغلوبين أو حتى لو بقوا على هامش الصراع لا يشتركون فيه .

وعرض الرئيس روزفلت أن تتدخل الولايات المتحدة - في حالة تأكيد عاهلى ألمانيا وإيطاليا بعدم استخدام قوة مسلحة لغزو أى من دول أوروبا أو الشرق الأدنى المستقلة - في مفاوضات سياسية لحل مشكلة التسليح . . . وإيجاد وسيلة للتجارة

الدولية على قاعدة المساواة بين الأمم . . . ، وختم روزفلت كلامه من رسالته بأن قال إن رؤساء الحكومات كلها في تلك الساعة العصيبة إنما يتحملون مسؤولية مستقبل البشرية في السنين القادمة . . .

ولم يصل أى رد مباشر لامن هتلر ولا من موسوليني ، إلا أن هتلر في خطاب له قال بأن جيران ألمانيا يعرفون بأن لا نوايا عدائية لها ضد جيرانها كلهم ، وأن كل هؤلاء الجيران قد قدمت لهم الضمانات التي يطالب بها الرئيس روزفلت .

وفي الخامس والعشرين من ابريل عام ١٩٣٩ تحدث الوزير هل بأن الحرب لا يمكن أن تعتبر وسيلة لتنظيم الخلافات السياسية ، وأن الموارد الموجودة تمكن كل الأمم من أن تحيا في رخاء اقتصادى . وختم الوزير الأمريكى حديثه بأن قال : « وقريبا أم بعيدا سيأتى اليوم الذى تجد فيه الأمم الميالة إلى السلم والراغبة فيه أنه الأفضل لها أن تتسلح وأن تستعد للحرب بدلا من أن تعيش في ظل عبودية للقوة » .

وفي كل هذا الأمد الذى مر منذ أن انصرفت أمريكا عن شئون أوروبا كانت الولايات المتحدة تلتزم جانب الحياد الدقيق ، ولم تكن كل عمليات التدخل التى يقوم بها الرئيس روزفلت أو الوزير هل يمكن أن تعتبر أكثر من رغبة في إيجاد قاعدة لسلم عالمى لا أثر فيه للانحياز إلى جانب ما . . . ، ولكن بسبب التطورات التى مرت منذ عام ١٩٣٤ حتى نهاية عام ١٩٣٨ وجد الرئيس روزفلت أن هذا الدور من الحياد الذى تقوم به الولايات المتحدة قد يعطى مساعدة للمعتدى فى الوقت الذى يمنع من مساعدة الدول المعتدى عليها ، ولهذا بدأ عام ١٩٣٩ برسالة إلى مجلس الكونجرس ينتقد فيه أسس الحياد الذى تلتزمه الولايات المتحدة والذى وضعت قوانينه فى عام ٣٥ ثم أضيفت إليه تعديلات قوت من نصوصه فى عام ١٩٣٦ ثم فى عام ١٩٣٧ ، وأهم هذه النصوص الاعتراضات التى وجهت ضد إرسال الأسلحة للمقاتلين ، ولكن هذه الدعوة لم تلق تأييدا من أعضاء المجلس .

وفي ٢٧ مايو ١٩٣٩ حاول هل أن يقيد تصدير الأسلحة بإضافة نص عدم تعرض الأفراد الأمريكين والسفن الأمريكية لأعمال المقاتلين .

وكانت فكرة كورديل هل فى أنه تبعاً للحال المضطربة فى العالم كله فان الخطوة الأولى لإبقاء الولايات المتحدة بمنأى عن الحرب هى أن تستعمل نفوذها

لجعل هذه الحرب محصورة في دائرة ضيقة ، أى أن لا تكون حرباً عامة كسابقها .
ولكن مجلس الكونجرس قرر أن لا ينظر أى شيء قبل دورة الانعقاد القادمة .
ثم صدر تصريح مشترك في الثامن عشر من يوليو وقعه الرئيس روزفلت والوزير
كورديل هل جاء فيه أن عدم القيام بعمل حاسم يضعف مركز الولايات المتحدة
كدولة تتولى الرياسة المعنوية للأمم ، كما يقلل قيمة مجهودها في الاحتفاظ بالسلم بين الأمم
الأخرى في حالة نشوء أزمة أخرى في أوروبا بين يوليو ويناير التالي ...

وفي هذا الوقت حدثت أزمة أغسطس ١٩٣٩ ، الأزمة التي بدأها هتلر في أبريل
بالضغط السياسي على بولندا ، ثم جاءت الأنباء بالاتفاقية الروسية — الألمانية
في الحادي والعشرين من أغسطس .. ، وبعد يومين اثنين من هذا أرسل الرئيس
روزفلت رسالة خاصة إلى ملك إيطاليا يكرر فيها ما سبق أن اقترحه في الرابع عشر
من أبريل .

وفي اليوم التالي بعث برسالتين أولاهما إلى هتلر والثانية إلى رئيس جمهورية
بولندا يطلب فيهما حل كل مشا كل البلدين عن طريق المفاوضات السلمية ، وعند
ما تسلم في اليوم التالي رد بولندا بأنها عند حسن ظنه بها ، كتب مرة ثانية لهتلر
رسالة أجمل فيها الرد البولندي .

ولكن هتلر كان قد أجمع أمره فكانت الحرب .. ، وكان الرد الرسمي الوحيد
الذي وصل أمريكا مذكرة بعث بها سفير ألمانيا إلى إدارة الشؤون الخارجية بعد ظهر
يوم أول سبتمبر — بعد أن كانت الحرب قد بدأت فعلاً — يقول فيها إن المستشار
هتلر لم يترك أى وسيلة لاتفاقية تقوم على أساس الصداقة ولكن كل هذه المحاولات
ضاعت هباء بسبب موقف بولندا .

وفي الخامس من سبتمبر ١٩٣٩ تحدث الرئيس روزفلت في المذيع معلناً حياد
الولايات المتحدة طالباً من كل أمريكي أن يتبع نصوص الحياد الدقيق إلى غاية
ما تعنى الكلمة .

ولكن سلامة الولايات المتحدة .

وسلامة الولايات المتحدة لها دورها نصيب من الأمر ، لأن الاطلاق والباسفيك
لا يمكن أن يكون أيهما المانع الذي يضمن عدم وصول الحرب إلى أمريكا ... ،
واذن فمن الضروري لسلامة الولايات المتحدة أن تقوى الناحية التي تقاوم الاعتداء المبني

على الطغيان ، وإذا كان من المحال أن ترسل الإمدادات من الرجال فلتكن من عتاد الحرب ، وإذا كان الرئيس روزفلت قد أصدر بعد أيام قليلة من إذاعته عن الحياد أوامر باعداد القوات الأمريكية إلى الحال التي يتطلبها الموقف في أوروبا ، فقد بات لزاماً أيضاً أن يزود أولئك الذين يقفون للدفاع في وجه النازية بحاجتهم . وفي الرابع عشر من نوفمبر بات اصطلاح « ادفع واحمل » قانوناً بأغلبية ٣٣ صوتاً في مجلس الشيوخ و ٦٢ صوتاً في مجلس النواب ، وبعد ثلاثة أيام فقط كونت لجنتان الإنجليزية فرنسية لشراء معدات الحرب من أمريكا ، وفي السادس من ديسمبر عين الرئيس روزفلت لجنة أمريكية لمراقبة تنفيذ برنامج مشتريات الحلفاء من الأسلحة والذخائر .

وبدأت أمريكا تستحق اللقب الذي أعطى لها بأنها مصنع أسلحة الديمقراطية . وجاء عام ١٩٤٠ والموقف كما هو في غرب أوروبا... تراشق بالقنابل بين ماجينو وسيجفريد ، وجفأة في العاشر من مايو غزا الألمان هولندة وبلجيكا و اخترقوا خط ماجينو ، وبدأ المد والجزرحتى وصل الانجليز إلى قنال المانش ليعبر ثلاثمائة ألف مقاتل البحر إلى الجزر البريطانية وهم لا يحملون من عتاد الحرب شيئاً إلا ذكريات قتال مجيد بالأمس... وسقطت فرنسا . وبدأ موقف لم يعد أحد في العالم كله نفسه لمواجهة فقد بعث ونستون تشرشل إلى أمريكا يطلب كل شيء — كل ما يمكن إرساله للدفاع عن بريطانيا وللمعاونة فرنسا... لو تابعت فرنسا الكفاح .

ولكن ما كان موجودا إذ ذاك كان مطلوباً للقوات الأمريكية وكان بعضه قد تم تسليمه فعلا... ، وقام نقاش جدلى ولكنه لم يكن بيزنطيا فقد وجد الحل الذي يتمشى مع حياد الولايات المتحدة ومع القانون الدولي ومع اتفاقية بريان — كيلوج ، وما أعجب السياسة !!!

وأعاد الجيش إلى المصانع الأسلحة التي كان قد تسلمها وهذه أرسلتها من فورها إلى بريطانيا مادام قانون « ادفع واحمل » لازال سارى المفعول ، ووصلت أغلب السفن التي حملت هذه الأسلحة والطائرات إلى بريطانيا في يوليو ، واستطاعت مليون يدقادرة على حمل السلاح أن تجرما يدفع عنها العدو... ، وبينما وقف هتلر مترددا أمام قنال المانش كانت السفن تسرع السير مجددة إلى بريطانيا ، وكانت المصانع الإنجليزية بدورها تعمل ليل نهار... ، ووقفت بريطانيا أمام النازية المنتصرة... وحدها في رأى الناس ، ولكنها لم تكن وحدها للحق والتاريخ... بل كانت من ورائها الولايات المتحدة .

كانت الولايات المتحدة لا تزال في عرف القانون على الحياد ، ولكن كانت سلامة الولايات المتحدة أولى بالعباية وأجدر بالتقدير ، وهكذا كان توالى الأيام هو الذى يوجه الولايات المتحدة إلى الاشتراك فى الحرب .

وفى سبتمبر ١٩٤٠ نزلت الولايات المتحدة عن خمسين مدعرة من أقدم مدمراتها لبريطانيا ثمنا لبعض القواعد البحرية فى الاطلانطيق وفى جزر الهند الغربية ، وكانت المساومة عادلة لأن الأسطول الانجليزى كان جد مشغول بالمياه البحرية فى أوروبا والشرق الأدى ... ، وكان لزاما أن تحرس الولايات المتحدة خطوط الاقتراب إليها ... فكانت هذه القواعد البحرية لازمة للأسطول الأمريكى ما فى هذا من شك ، ولم يكن فى هذا ابتداء فان هليجولاند نفسها كان الانجليز قد باعوها من قبل للألمان ...

على أن مجهودات الرئيس روزفلت السلمية كانت فى طوال هذا مستمرة .. وكانت آخرتها بالنسبة لأوروبا رسائله الخاصة إلى السنيور موسوليني لإبقاء إيطاليا بعيدة عن الحرب ... ، ولكن موسوليني هو الآخر ظن أن الساعة قد اقتربت (ولا يمكن أن تغيب إيطاليا فى اللحظة التى ينظم فيها مستقبل أوروبا) .

وكان آخر رد لموسوليني فى أول يونيو ١٩٤٠ وفيه يقول (إن أى ضغط جديد من الرئيس روزفلت إنما يزيد من إصراره على اشتراك إيطاليا فى الحرب) ، ولكن كان اشتراك إيطاليا فى الحرب فضيحة الأجيال لأنها لم تشارك فى الحرب إلا لتطعن فرنسا الجريحة وهى تقا تل بيد واحدة وسيف محطم ضد عدو قوى مملوء بزهو الانتصار وبقيت المصانع الأميركية تعمل لإجابة مطالب بريطانيا ولتسليح القوات الأميركية ... والمصانع الأميركية قادرة على أن تفعل العجائب ، ولكن جاءت مشكلة جديدة هى مشكلة القدرة على الدفع ... ، فإن بريطانيا يجب أن تدفع بالدولار لأنها لو دفعت بالجنيه الاسترلى فإن هذا النقد لا يصلح للتعامل فى أمريكا . ، ثم إن المصانع الإنجليزية قد انصرفت للإنتاج للحرب فلن يجد أهل الولايات المتحدة فى بريطانيا كل ما يجب أن يتناوه لتغطية هذا النقد ، وإذن فلتستخدم بريطانيا مالىها من احتياطي الدولارات الأميركية والذهب وهذا كله له نهاية قربت أو بعدت إلا أنها قادمة ... وفى يناير ١٩٤١ جاء هذا اليوم ولم تستطع بريطانيا الدفع ...

ويذكر الصحفيون الذين زاروا الرئيس روزفلت فى السابع عشر من ديسمبر عام ١٩٤٠ القصة التى حدثهم بها إذ ذاك ...

« لو حدث أن اشتعلت النار في منزل جاري وكان لدى خرطوم في الحديقة يصل لمسافة خمسمائة قدم قد أستطيع به أن أعاونه على إطفاء النار ، فهل أحمل الخرطوم وأقول له : يا صديقي إن هذا الخرطوم قد كلفني خمسة عشر دولاراً أضعها لى أولاً ثم خذ الخرطوم ، بالطبع لا..، إن كل ما أطلبه هو أن يرجع إلى الخرطوم بعد أن يطفىء النار التي تحرق منزله وبذلك أستعيد خرطومي كما أنني أربح عدم وصول النار إلى منزلي . . . »

فكانت هذه القصة هي أساس قانون الاعارة والتأجير... أقوى سلاح من أسلحة القتال عرفه العالم في الحرب العالمية الثانية .

وفي العاشر من يناير عام ١٩٤١ قدم الرئيس روزفلت اقتراحه بقانون الاعارة والتأجير . ، وهو قانون لم يتحدث في معاونة بلا مقابل . . . بل قيل أن بريطانيا ستدفع نقداً من الذهب أو الدولارات وتدفعنا نوعياً من الصناعات أو الممتلكات وتقدم منافع مباشرة أو غير مباشرة يرى الرئيس روزفلت أنها كافية .
ولسكن الأمر مع هذا كان مثير نقاش طويل هذه المرة لأن الكثيرين كانوا لازالوا يرون أن الولايات المتحدة بمنجاة من أى خطر ، وفي الثامن من فبراير اجتاز القانون أروقة مجلس النواب بأغلبية ٢٦٠ صوتاً ضد ١٦٥ ، وفي الثامن من مارس اجتاز أروقة مجلس الشيوخ بأغلبية ٦٠ صوتاً ضد ٣١ مع تعديلات طفيفة أعادته إلى مجلس النواب ، فتم التصديق عليه في الحادي عشر من مارس بأغلبية ٣١٧ صوتاً ضد ٧١ صوتاً .

وفي الخامس عشر من مارس قال روزفلت « ليقبل الديكتاتوريون في أوروبا وآسيا الآن من حيويتنا ونشاطنا ، قد تجيء قرارات الديمقراطية بطيئة ولكنها عند ما تتم لا تكون من صوت رجل واحد بل من أصوات مائة وثلاثين مليوناً من النفوس » .

وقد كان هذا حقاً... لأن أمريكا كانت بدورها قد أجمعت أمرها على الوقوف كرجل واحد في وجه الطغيان ، فكان يوم ١١ مارس ١٩٤١ بداية فترة التأهب

للاشتراك في الحرب هذه الفترة التي انتهت في ديسمبر ١٩٤١ عند ما أغار اليابانيون على ميناء بيرل ، فبدأت حال الحرب بين الولايات المتحدة واليابان ثم بينها وبين ألمانيا وإيطاليا .

وهكذا باتت الولايات المتحدة في مقدمة الدول المتحدة بعد أن نفقت يديها من العزلة التي جاءت في أعقاب الحرب العالمية الأولى .

والآن إلى الغد . . .

إلى ما بعد الحرب . . .

بحمد الله تعالى تم طبع كتاب « بين حريين »
في يوم الاثنين ٥ من شهر ربيع الثاني سنة
١٣٦٤ هـ . (١٩ من شهر مارس سنة
١٩٤٥ م) .

مدير المطبعة
رستم الحلبي

المراجع

توجد في صفحات هذا الكتاب سطور كان يجب أن ترد إلى أصولها التي نقلت عنها ، ولكن لعوامل فنية خاصة بصف الحروف أغفل هذا إلا لما عند الاشارة إلى كتاب ما على التخصيص وسط سطور الحديث نفسه ، على أن الكتب الآتية قيمة بالدرس حرية بالمراجعة .

- | | |
|---|---|
| Why War. | by. C.E M. JOAD. |
| Searchlight on Spain. | » DUCHESS OF ATHOLL. |
| German Strategy of the World
Conquest. | » DERWENT WHITTLESEY |
| Let the Record Speak. | » DOROTHY THOMPSON. |
| Germany Puts the Clock Back. | » EDGAR MOWRER. |
| What Hitler Wants. | » E.O. LORIMER. |
| Versailles Statistical Truth | » F.K. BIELIJK. |
| Blackmail or War. | » GENEVIEVE TEBOUIS. |
| Europe & the Czechs. | » GRANT DUFF. |
| Inside Europe. | » JOHN GUNTER. |
| History of Our Own Times. | » MICHAEL FOOT. |
| The French Yellow Book Official
diplomatic documents. | » (FRANCE) |
| The Government Blue Book
Official documents. | » (GREAT BRITAIN). |
| United States Foreign Policy
(1931—1940). | » (PEACE&WAR). |
| Official Documents. | » (U.S.A). |
| The Time is Now. | » PIERRE VAN PAASSAN. |
| Political and Strategic Interests
of the United Kingdom. | » ROYAL INSTITUTE OF
INTERNATIONAL AFFAIRS.
(Oxford University) |
| Not Peace but a Sword. | » VINCENT SHEAN. |
| The new German Empire | » Dr. BORKENAW. |
| One Man Against Europe. | » KONARD HELDEN. |
| Foreign Capital in Poland. | » L. WELLISY. |
| Germany what Next ? | » RICHARD KEANE. |
| Poland the key of Europe. | » R. L. BULL. |
| The poland of Pilsudski. | » ROBART MACHRAY. |
| Poland Economics. | » ROMAN GORECKI. |
| Poland | » W. J. ROSE. |

فهرس


صفحة	تمهيد
٥	تمهيد
٧ »	قصة معاهدة فرساي
١٥ »	ثوران البركان
٢٣ »	وجوه جديدة على مسرح العالم
٢٩ »	سلاماً لوكارنو
٣٥ »	عند ماجنت أمريكا
٤٣ »	الرجل الذي كان يستطيع إيقاف هتلر
٥١ »	أوروبا تتفكك
٥٧ »	دماء في اسبانيا
٦٥ »	مأساة موينخ
٩١ »	الدييحة الأخيرة
١٠١ »	الولايات المتحدة في مفترق الطرق

12
B

DATE DUE

NOV 28 1988
1988

5 MAR 1992

 A . U . C .
19 APR 2000

JAN 197

JAN 1975

i 14967868

B13154746



D
727
I 3x
1945